مصادر
الأدب العربي

محمد واضح رشيد الحسني الندوي

الناشر

دار الرشيد
لكناؤ - الهند

www.abulhasanalinadwi.org

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الثانية

١٤٣٤هـ ٢٠١٢م

اسم الكتاب : مصادر الأدب العربي

مؤلف الكتاب: الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي

مراجعة واعتناء: محمد وثيق الندوي

الصفحات: ١٩٢

النسخ: ١١٠٠

ثمن النسخة: ١٥٠ روبية هندية

يطلب من:.

(١) المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء لكناؤ .

(٢) المكتبة الندوية، ندوة العلماء لكناؤ

(٣) مكتبة إحسان، مكارم نغر لكناؤ

(٤) مكتبة الشباب الجديدة، مكارم نغر لكناؤ

الناشر

164/106 Khatoon Manzil, Haidar Mirza Road
Golaganj, Lucknow. Mo: 9452294097-9838154415

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله الأمين، وآله وصحبه أجمعين، وبعد!

تسعد "دار الرشيد" للطباعة والنشر والتوزيع، بإصدار الطبعة الثانية لهذا الكتاب الذي بين أيديكم، وهي مزيدة، منقحة ومهذبة، وقد صدرت له الطبعة الأولى عام ٢٠٠٤م من "مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد" برائ بريلي، ونال قبولا واستحسانا في الأوساط العلمية والأدبية، لتعريفه بأساطين الأدب العربي، وتحديده لمكانتهم في أوساط أعلام الأدب العربي، ودراسته للكتب التي تُعَدُّ من الموسوعات الأدبية، ووصفه لخصائصها الفنية، ومناهجها المتميزة، وتأثيرها في المجتمع أدبياً وعلمياً ودينياً وخلقياً.

ولاشك أن هذا الموضوع الذي اختاره المؤلف الفاضل - حفظه الله ورعاه - كان يحتاج إلى مؤلف له اختصاص في هذا الموضوع، وخبرة طويلة في مجال تدريس هذه الكتب، ودراسة عميقة لها، وذوق أدبي رفيع، واطلاع واسع على ما كُتِبَ حول هذه الكتب ومؤلفيها،

www.abulhasanalinadwi.org

وقدرة فائقة على التعبير، واستخراج الدرر واللآلي من بطون أمهات الكتب.

فأستاذنا الجليل فضيلة الشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي كان أجدر بقرع هذا الموضوع المهم. وتناوله بالبحث والدراسة لتميزه بهذه الخصائص المذكورة أعلاه.

فندعو الله عزّ وجلّ أن يتقبل منه هذا العمل، ويجعله في ميزان حسناته، ويوفق دارسي الأدب للانتفاع به في دراساتهم العلمية والأدبية والإسلامية.

ولا يفوتني أن أشكر أستاذي الموقر الأستاذ نذر الحفيظ الندوي الأزهري عميد كلية اللغة العربية وآدابها بجامعة ندوة العلماء على كتابته مقدمة ضافية لهذه الطبعة الثانية المزيدة المنقحة، فله الشكر الجزيل، والله هو المنعم الوهاب.

جعفر مسعود الحسني الندوي
٢٠١٢/٠٥/٠٩م

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة بين يدي الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد بن عبد الله الأمين، وعلى جميع أصحابه وآله أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد!

فأحمد الله تعالى على أن الطبعة الأولى من مذكراتي حول مصادر الأدب العربي قد قوبلت في الأوساط العلمية والأدبية، ونفدت في مدة قصيرة، رغم أن هذا الموضوع تناوله عدد من المحققين في مصادر اللغة العربية بتفصيل، وهي موجودة في المكتبات، ويستفيد منها الباحثون في الأدب العربي.

وقد أعددت هذه المذكرات المختصرة حسب استعداد الطلاب في الدراسات العليا للأدب العربي في دار العلوم لندوة العلماء، والوقت المقرر لدراسة هذا الموضوع من بين المواد الأخرى، ولذلك اكتفيت بالاختصار والتعريف الموجز للكتب التي اعتبرها الأدباء من مصادر الأدب العربي، وأضفت إليها بعض الكتب التي تسير على منهاج تلك الكتب التي تعتبر الأصول، وفيها مواد أدبية إضافية، وتراجم للأدباء

www.abulhasanalinadwi.org

والشعراء، أو ذكر للقضايا الأدبية، وثارت خلافات حول مكانة هذه الكتب وأصالة موادها.

وكان قصدي الاختصار، والتعريف؛ لا التحقيق أو عرض شيء جديد، ويجد الطالب أسماء الكتب المستفيضة في هذا الموضوع لمزيد من التحقيق والمعرفة.

وقد أضفت في الطبعة الثانية نصوصاً تحمل أهمية أدبية وتربوية؛ فقد قيل لوظيفة الأدب: إن الأدب هو ما يهذب النفس ويثقف اللسان، وقد اهتم بهذا الجانب المتقدمون، كعبد الحميد، وابن المقفع، وابن قتيبة، فكانت وظيفة الأدب أولاً تهذيب النفس، فكان الأدباء مؤدبين ومثقفين بالثقافة العربية الإسلامية، وبالإضافة إلى النصوص أضفت مباحث حول بعض هذه الكتب في اسمها وأصالتها ومصادرها وازدادت قيمة الطبعة الثانية للمقدمة الضافية للأستاذ نذر الحفيظ الندوي الأزهري (عميد كلية اللغة العربية وآدابها حالياً ومدير المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي سابقاً في دار العلوم لندوة العلماء) وتشكل كلمته بحثاً قيماً عن الأدب ودوره في الحياة، وفكرة ندوة العلماء عن الأدب ودوره، واستعرض الأستاذ نذر الحفيظ الندوي مواد الكتاب استعراضاً تاريخياً وأدبياً وتربوياً، وأصبحت كلمته بحثاً قيماً ورائداً للمستفيدين بهذا الكتاب، فأشكره على هذه الكلمة القيمة؛ فقد زادت في قيمة الكتاب.

www.abulhasanalinadwi.org

كما أشكر العزيز الأستاذ محمد وثيق الندوي أستاذ الأدب العربي بكلية اللغة العربية وآدابها في دار العلوم لندوة العلماء على اهتمامه بإخراج هذا الكتاب، وترتيب المواد الجديدة وتصحيحها، ومراجعة المصادر.

صدرت الطبعة الأولى من "مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد" بدار عرفات في رائي بريلي، باهتمام الأخ العزيز الفاضل بلال عبد الحئ الحسني الندوي، وقد كان في شكل مذكرات ألقيت على الطلبة، واعتنى بإصدارها بشكل كتاب مرتب، وتصدر الطبعة الثانية من "دار الرشيد" للطباعة والنشر والتوزيع (لكناؤ) باهتمام ابني العزيز جعفر مسعود الحسني الندوي، فأدعو الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب الصغير المختصر في التعريف بمصادر الأدب العربي وسيلة للتربية الأدبية والإسلامية بالمعنى الحقيقي، وذريعة للتأدب بالآداب الكريمة والتخلق بالأخلاق الفاضلة، والمعرفة الفاضلة، كما كانت وظيفة الأدب، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "أدبني ربي فأحسن تأديبي". والله ولي التوفيق.

محمد واضح رشيد الحسني الندوي
١٤٣٣/١٢/٠٦هـ
٢٠١٢/١٠/٢٣م

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

بقلم: الأستاذ نذر الحفيظ الندوي الأزهري

نحمده ونصلي على رسوله الكريم، أما بعد!

فإن العصر والظروف التي تأسست فيها مؤسسة ندوة العلماء، كان عصر القلق والاضطراب، والفوضى الفكرية، والانحلال الخلقي، بلغت في هذا العصر الحضارة الغربية وثقافتها وسياستها إلى أوجها وازدهارها، وكانت تعلن عن أفول شمس الشرق، وطلوع شمس الغرب، هذا العهد يسمى بالعهد الغربي حضارة وثقافة وسياسة وحكومة، فكراً ومنهجاً للحياة الإنسانية في المستقبل، وكان العالم الإسلامي يواجه هذه المشكلة وجهاً لوجه، لأنه هو زعيم الرسالة الدينية والخلقية، وصاحب الوصاية على المجتمع البشري بعد ما انسحبت الديانات القديمة من معترك الحياة، وصاحب القوة الكبرى التي يحسب لها الحساب، وصاحب الدول الواسعة في هذا القرن، فكانت هذه الحضارة المادية الآلية للعالم الإسلامي أعظم من تحديها لأي حضارة ولأي مجتمع بطبيعة الحال.

فالكارثة الكبرى التي نزلت على العالم الإسلامي خاصة والعالم البشري عامة، هي أن الإنسان واجه الرزايا المعنوية في عهد الاستعمار الغربي من حرمان الحاسة الدينية، وخسارة العاطفة

www.abulhasanalinadwi.org

الدينية، وطغيان المادية، والتدهور في الأخلاق من ناحية؛ والشك والارتياب في القيم الدينية وعدم الثقة بالله عزّ وجلّ من ناحية أخرى، كما انتشرت الفوضى الخلقية، وعمّ الاضطراب والقلق الروحي إلى جانب استغلال الحكومات الغربية وسائل التعليم لصياغة الجيل المسلم في بوتقة الردة الحضارية والثقافية، حتى لا يقدر هذا الجيل على إسعاد البلاد الإسلامية وإعادة الحياة إليها، ويضطر إلى أن يتجاوب مع العالم الغربي المعاصر، ولا يجد قوة المقاومة أمام وهج العالم الحديث، فيذوب مثل الشمعة، ويفقد شخصيته إلا أن الإسلام خرج من هذه المعركة مرة أخرى ظافراً ومنتصراً، كما كان العهد بهذا الدين في تاريخه المشرق على مدى أربعة عشر قرنا.

في مثل هذه الظروف القاسية والظلمات الحالكة برزت دعوة ندوة العلماء على خريطة شبه القارة الهندية في نهاية القرن التاسع عشر تحت قيادة العالم الرباني السيد محمد علي المونغيري الذي أعلن في حفلة خاصة اجتمع فيها نخبة من العلماء وطبقة مثقفة، عن تأسيس ندوة العلماء وأهدافها الأساسية لمواجهة المشكلات والتحديات الجديدة التي يواجهها مسلمو الهند خاصة والعالم الإسلامي عامة، فمن أعظم الأهداف وأهمها هو القيام بإصلاح النظام التعليمي والتربوي وتطويره وصياغته صياغة تتفق مع حاجة الحياة الإسلامية المعاصرة ومقتضياتها، ثم تصحيح المفاهيم الدينية وإخضاعها لما ثبت من الكتاب والسنة، ودعم الفكر الإسلامي الصحيح عن طريق الكتابة والتأليف والترجمة والنشر والدعوة، فقام أبناء ندوة العلماء بإعداد كتب دراسية حسب الظروف المتطورة في كثير من العلوم والفنون كالتفسير والحديث والفقه واللغة والأدب والنقد والتاريخ

www.abulhasanalinadwi.org

والجغرافية والنحو والصرف والبلاغة والفكر وتوعية الدارسين للعلوم الإسلامية بالتيارات الفكرية المعاندة للإسلام والحركات الهدامة، نشأت بجهود الندويين العلمية مكتبة قيمة لتغذية الفكر الإسلامي ودعمه للتصدي أمام الغزو الفكري وحملة المستشرقين وتضليلهم.

وتوجهت عناية أبناء الندوة أولاً إلى إعداد مواد دراسية لتسدّ حاجة العصر، وتملأ الفراغ، وتلائم الذوق الأدبي المتطور من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة العليا، فنالت الكتب الدراسية القبول العام، وأدرجت في المقررات الدراسية في الجامعات والكليات العصرية، ومن ناحية أخرى أولت مؤسسة ندوة العلماء من أول يوم إنشائها العناية الخاصة باللغة العربية والإتقان فيها واستخدامها كلغة حية راقية، لأنها لغة مفتاح كنوز الكتاب والسنة، وإنها تعدّ من أعظم اللغات وأوسعها انتشاراً، يتحدثها أكثر من ٤٢٢ مليون نسمة[1].

أدرك القائمون على شئون ندوة العلماء العلمية والأدبية بأن هناك محاولات تبذل من قبل المستشرقين وتلاميذهم لتحطيم اللغة العربية ومسخها تحت مظلات وأسماء براقة من التجديد، والتحديث، والتقدم والتطور، تارة تمثلت محاولات القضاء على العربية في اتهامها بالقصور والعجز عن مواكبة التطورات الحديثة، وتارة محاولات الإساءة إلى العربية في الدعوة إلى العامية أو إلى تحريرها من قواعد اللغة

---

[1] مرت اللغة العربية في عهد الاستعمار الغربي بنكبات ونكسات حينما أمر بإحراق الكتب المخطوطة في مدينة غرناطة الفردوس الإسلامي المفقود، الكاردينال فرانسيسكو (م ١٥١٧م) وما كان متصلا بالأدب والفكر والدين، وبخاصة المصاحف المخطوطة، أحرقت في غرناطة وحدها ثمانون ألفاً من الكتب، وهناك من يقدر أن ما أحرق يومذاك لا يقل عن مائة ألف مخطوط (المصادر الأدبية واللغوية لعز الدين إسماعيل، ص: ٥) وكان آخر هذه الكارثة والمأساة المروعة التي تعرضت لها مكتبة جامعة الجزائر، حيث أمر الفرنسيون بإحراقها عام ١٩٦٢م خلال حرب الاستقلال.

www.abulhasanalinadwi.org

العربية وتجريدها من الإعراب وغيرها من المخططات الخبيثة، فبرزت دعوة الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي - رحمه الله تعالى - إلى استعراض مكتبة اللغة العربية وآدابها، والتنقيب عن دفائنها من جديد ،وكتابة تاريخ ا لأدب العربي من منهج إسلامي صحيح، لأن مؤامرات الغرب الخبيثة تكاد تقضي على ثقة الجيل المسلم الجديد بصلاحية دينه، فتحقق هذا النداء الذي خرج من أعماق القلب حيث انعقدت ندوة عالمية في رحاب ندوة العلماء حضرها لفيف من كبار العلماء والأدباء والكتاب وأساتذة الأدب العربي من جامعات العالم العربي، وعلى هذه الفكرة وتمديدها وتوسيعها وترسيخها وتدعيمها تألفت مؤسسة عالمية باسم رابطة الأدب الإسلامي العالمية، فكانت بداية عهد جديد وانتفاضة أدبية إسلامية في فجر القرن الخامس عشر الهجري، وكان هذا القرن قرن النهضة الأدبية الإسلامية كما كان قرن الصحوة الإسلامية.

بدأ أدباء الندوة وعلى رأسهم الأستاذان الأديبان الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي والأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي باستجابة هذا النداء في التنقيب والبحث في كنوز الأدب العربي وتاريخه بتأليف سلسلة ذهبية في كتابة تاريخ الأدب العربي وفق المنهج الإسلامي الصحيح.

معذرة إلى القراء وإلى مؤلف هذا الكتاب "مصادر الأدب العربي" لهذا التمهيد الطويل الذي كان لابدّ من الإشارة إلى البيئة والخلفية التي برزت فيها دعوة ندوة العلماء في مجال خدمة اللغة العربية والإتقان فيها، وكتابة تاريخها والنظر إلى تراثنا الأدبي والديني والتاريخي من المنظور الإسلامي، ومما لاشك فيه أن أبناء ندوة العلماء

www.abulhasanalinadwi.org

غيروا نظريات الغرب ومعاييرها العلمية والأدبية والتاريخية رأساً على عقب، وقاموا بدفن الفكرة البابوية وروحها وعقليتها في مزبلة التاريخ[١].

إن كتاب تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) قد غيّر مفهوم الأدب السائد لدى الجمهور والذي نلاحظه في دراسة هذا الكتاب بأن اسم الأدب العربي يحمل مدلولاً أخلاقيا منذ نشأته، وكأن هذه التسمية تعني أن الأديب العربي لا يكون أديباً إلا إذا قرن أدبه بالأخلاق، وصدر عن مناهل الحكمة، فالعرب يسمون شعرهم ونثرهم البليغ "أدباً" والأدب معناه الأخلاق والفضائل الحميدة، ومنه قول النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم: "أدبني ربي فأحسن تأديبي".

والحق أن الأدب العربي كان ومازال أدباً مؤدباً، الأديب العربي ماعدا بعض الشواذ وقف عند عصوره على منصة القدوة الصالحة؛ يذكي شعلة الحياة من قبس إلهامه، وينفخ في روحه من حرارة قلبه وإحساسه.

ولقد نشأ الأدب العربي أخلاقياً من أساسه، وحسبنا أن نلقى نظرة على الشعر الجاهلي لنرى أنه يعلم الأدب، أدب الحياة الذي يثقف ويهذب النفس، ويصرف الدارس إلى مسئوليات الحياة، ومواجهة حقائقها، ويوجد في الإنسان روح المصابرة، وخدمة الإنسان، وتحمل الشدائد في سبيله[٢] إذا استثنينا أشعاراً قليلة لبعض

---

[١] مصنفات العلامة شبلي النعماني، والعلامة السيد سليمان الندوي في السيرة والتاريخ وكذلك كتاب الإمام الندوي مثل ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين وسلسلة رجال الفكر والدعوة في الإسلام ومختارات من أدب العرب،وإلى جانب مصنفاته مصنفات الأستاذين الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي والشيخ محمد واضح رشيد الحسني الندوي حول تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) والعصر الإسلامي والعصر الحديث، والأدب العربي بين عرض ونقد، وهذا الكتاب مصادرالأدب العربي خير دليل على ذلك.

[٢] انظر كتاب المؤلف تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي المقدمة (ص٩).

www.abulhasanalinadwi.org

المترفين كامرئ القيس والمنخل اليشكري لنرى أن الطابع الأساسي للأدب العربي كان الطابع الأخلاقي .

أما الأجانب فيسمون شعرهم ونثرهم Literature وهي كلمة مشتقة من الثقافة ومنها أخذت كلمة Literary Man ومعناها رجل مثقف .

ومن ناحية أخرى نجد الأدب العربي منذ نزول القرآن إلى يومنا هذا، أقبل الأدباء المسلمون وعلماؤهم عليه وأكبوا على دراسة أسرار بلاغته ودلائل إعجازه ؛ فأثر ذلك في الأدب العربي، حتى أصبح القرآن محور الأدباء العرب، وظهر أثر القرآن في أدب كل أديب، وشعر كل شاعر، حتى أمهات الكتب التي ألفها علماء اللغة وأدباؤها، كان من أجل خدمة القرآن، نلاحظ هذا في الشواهد القرآنية التي يستشهد بها النحويون والبلاغيون واللغويون ؛ فإن هذه الصلة الوثيقة بين الأدب العربي وبين الدين، لا تظهر أي أثر في الآداب الأوربية ، بالعكس من ذلك الأدباء هنا في واد والمسيحية في واد آخر[١].

"مصادر الأدب العربي" مجموعة محاضرات ألقاها الأستاذ الأديب محمد واضح رشيد الحسني الندوي على طلبة كلية اللغة العربية وآدابها (الدراسات العليا) بجامعة ندوة العلماء، تحتوي هذه المحاضرات على كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ، و"أدب الكاتب" لابن قتيبة، و"الكامل" للمبرد و"الأمالي" لأبي على القالي، و"الأغاني" لأبي الفرج الأصبهاني،

---

[١] حسبك أن تلقى نظرة خاطفة على المذاهب الأدبية الغربية وآثارها ونتائجها المدمرة على المجتمع الغربي خاصة وعلى المجتمع الإنساني عامة، وهناك ملاحظة أخرى وهي إطلاق كلمة الأدب على القصص والمسرحيات والروايات التي صدرت من أقلام المثقفين والشعراء والكتاب الغربيين، فهي كلها مجموعة الخبائث التي أنبتها البلد الخبيث "والذي خبث لا يخرج إلا نكدا".

www.abulhasanalinadwi.org

و"العقد الفريد" لابن عبد ربه، و"وفيات الأعيان" لابن خلكان.

كل كتاب من هذه الكتب السبعة، له ميزة خاصة بسبب منهجه وأداء مضمونه، وله مكانة خاصة لدى الأدباء والكتاب والمعنيين باللغة العربية وعلومها وآدابها، كما إن لمؤلفي هذه الكتب درجات علمية وأدبية، ولهم منهج خاص في تأليفها وترتيبها، وأسلوب فريد في عرض النصوص وتحليلها، ومعالجة القضايا العلمية والأدبية، والاستشهاد بالأقوال والأشعار، واستغلال هذه المواد في تكوين ذوق القارئ، وتنمية مواهبه، وإثارة الملكات الأدبية، والقدرات البيانية واستخدامها في حل المشكلات والمعضلات العلمية والفنية، إلا أن هذه الخصائص الفنية والمحاسن الأدبية والكنوز العلمية كانت مدفونة في ثنايا هذه الموسوعات، ومتروكة على رفوف المكتبات، مع أن الدارسين والمحققين اعتنوا بهذه المصادر تحقيقاً وتعليقاً، وقاموا بطبعها ونشرها في ثوب قشيب[1]، ولكن مع الأسف لم يلتفت أحد إلى إبراز محاسن هذه الكتب الأدبية وخصائصها العلمية وقيمتها الفنية، والبحث عن مناهجها ومزاياها، فضلاً عن تهذيبها وترتيبها وتقديمها إلى الجيل الجديد مراعياً ذوق العصر ومتطلباته إلى جانب تعيين درجات مؤلفي هذه الموسوعات، والبحث والنقاش حول اتجاهاتهم ونزعاتهم الخاصة مع النقد العلمي المتوازن، والإشارة إلى ذكر الأسباب والخلفيات التي كانت وراء تأليف هذه الكتب مع تقديم الأمثلة والنماذج وتحليلها.

---

[1] للمزيد من التفاصيل عن المصادر الأدبية واللغوية انظر كتاب الأستاذ الدكتور/ الطاهر أحمد مكي" دراسة في مصادر الأدب" (الطبعة السابعة، ١٩٩٣م، دار المعارف، القاهرة) وكتاب الأستاذ الدكتور /عز الدين إسماعيل "المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي" (الطبعة الثانية ١٩٨٣م، دار المعارف، القاهرة).

www.abulhasanalinadwi.org

صاحب هذا الكتاب ليس بفارس جديد في هذا الميدان ؛ بل إنه رضع بلبان العلم والأدب، وإنه ورث فنّ التاريخ من أسلافه، إلى جانب طبعه الموهوب، وذكائه الفطري، والاتصال الوثيق بثقافة عصره، مع الدربة والمرانة في مجالات الأدب والتاريخ ؛ قطع المؤلف مراحل التعليم كلها تحت إشراف خاله الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي حتى بلغ مرحلة التأليف والتحقيق ؛ فكان موفقاً كل التوفيق حينما قام بتأليف كتاب "تاريخ الأدب العربي" (العصر الجاهلي) حسب المواصفات والشروط التي نيطت بإعداد هذا الكتاب الذي يحتوي على مادة جديدة، وزيادات قيمة، أخرجها المؤلف من تاريخ الأدب والأدباء، والشعر والشعراء من العصر الجاهلي، هذا الكتاب فاجأ القارئ والباحث بجوانب عديدة على الطريقة ا لقويمة الصحيحة، والمقارنة العادلة مع تجريد القلم والفكر عن إخضاع الحوادث والمادة التاريخية لنزعة خاصة، أو أغراض غامضة أحيانا وواضحة أخرى، لاشك أن هذا الكتاب نموذج لتصحيح المسار العلمي والأدبي الذي سلطه علينا المستشرقون، ومثال فريد للمنهج الإسلامي الصحيح لكتابة التاريخ الإسلامي، وكيف يجب علينا أن نخلص الأدب العربي من التأثير الأجنبي، ونقوم بتطهير التاريخ العربي من تأثير المستشرقين وتلاميذهم القوميين العرب، وتصوراتهم القومية، والأفكار البابوية، والعقائد المنحرفة، يزيل هذا الكتاب الشكوك والشبهات التي ألحقها كتاب الغرب بالتراث العربي ؛ كما أنه يساعد في إزالة مركب النقص الذي يجده الجيل الجديد بعد قراءة الكتابات الغربية .

مصادر الأدب العربي الموسوعية ألفت في عصور التأليف الإسلامي الأولى، وكان العصر عصر الإستيعاب الشامل لكل ما قيل

www.abulhasanalinadwi.org

ورُوي في الموضوع ؛ فقد كانت كتب المؤلفين في التفسير والحديث والسيرة والتاريخ والأدب أشبه بموسوعات علمية ، وإن كانت لهذا الاتجاه والأسلوب السائد فوائد ، أعظمها صيانة هذه الثروة العلمية من الضياع ، وتمكين القارئ من اختيار ما هو أوفق وأقرب إلى ذوقه ، فقد أحدثت مشكلة — خصوصا في هذا العصر الذي يعتبر عصر السرعة والاختصار ، والطالب المبتدئ والمتوسط يحار في اختيار أقرب الأقوال والمذاهب ، لذلك مال كثير من المؤلفين في كل عصر إلى انتقاء هذه الكتب الموسوعية ، واختيار أقرب الأقوال وأقواها ، وكان هذا العصر من أحوج العصور إلى هذا الأسلوب من التأليف لقصر الوقت ، وضعف الهمم ، وتشتت الأذهان ، لذلك كان التوفيق حليف الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي حينما وضع كتابه "مصادر الأدب العربي" فقد وفّر على طلبة الأدب العربي وقتاً طويلاً ، وأخذ بيدهم إلى ما هو عصارة دراسته الأدبية ، ولا يقدر على ذلك إلا من توسعت دراسته ، وسلم ذوقه ، وحسنت ممارسته لفن التدريس والتأليف ، إلى جانب ذلك يجمع الأستاذ الندوي بين الثقافتين : القديم والحديث ، وهو خبير بنفسية الجيل المثقف ، ومطلع على مشكلاته ومتطلباته ، وله خبرة طويلة ، وتجارب واسعة في مجال التعليم والتربية ؛ لأنه سبر أغور الثقافة الغربية فيعرف قوتها التدميرية ونتائجها المرة وتأثيرها على المجتمع الإنساني ، فيقدم الحلول في أسلوب بناء وجذاب في كتاباته التحليلية عن الأوضاع الراهنة ، هذه المقالات تدل على ثقافته المتنوعة ونظراته الثاقبة في الشؤون العالمية وخفاياها وزواياها ، ومراميها البعيدة .

إن مسئلة الاختيار والاقتباس وطريقة عرض النصوص ، وقضية التناسب والمقارنة العادلة بين النصوص هي المحك والميزان الحقيقي الذي يكشف عن غاية مؤلف في إعداد كتاب أو تحليله أو تقديمه ، ثم هناك عنصر هام وهو رعاية المخاطب ومستواه العلمي

www.abulhasanalinadwi.org

والتعليمي، نجد أن المؤلف يلبي حاجة العصر ومتطلبات المجتمع، ويستجيب لنداء الضمير، هذه هي السمة الرئيسية والخصيصة البارزة التي نجدها في كتابات أبناء ندوة العلماء.

هذا الكتاب "مصادر الأدب العربي" يمتاز بالميزات الآتية.

الخصائص البارزة للكتاب:

نشأ المؤلف في بيئة كانت هوايتها التاريخ، وكتابة التراجم والسيرة، وكان ارتباطه الوثيق وحبه وهيامه بالأدب العربي منذ عهد الصبا، وعشق الصبا شديد، إلى جانب دراسته الواعية الناقدة، وتتبع الأخبار والتعرف على خصائص اللغة العربية وآدابها، والإعجاب بالشعر الجيد، والنثر القوي، والتذوق بالتعبير الجميل البديع والتشبيه البليغ، والحرص الشديد على محاكاة البلغاء، كل هذه الخصائص منحت المؤلف الاقتدار على البيان والتعبير، والتملك على الثروة اللغوية المتنوعة، وتسخير هذه الملكات الأدبية لخدمة الدعوة.

تتجلى هذه الخصائص في تحليل الكتب الأدبية السبعة، وإبراز محاسنها الفنية والأدبية، وتعيين مكانة مؤلفيها بين الكتاب والأدباء، ولا يمكن تحديد اختصاصهم إلا لمن اطلع على مؤلفاتهم جميعاً، واطلع على آراء معاصريهم فيهم وحكمهم عليهم، كما نجد الأستاذ الندوي منفرداً في تقديمات هذه الكتب التي قرأها بالدقة والإمعان؛ فنشأت فيه رغبة تحثه على كتابة هذا التقديم، وكان هذا التقديم طبيعيا ومنصفا، له أثره وفائدته لأن بين مقدم الكتاب وبين موضوعه صلة علمية وذوقية إلى جانب دراسة وافية لهذا الموضوع وما ألف فيه.

إن حب الأدب لدى التلاميذ جزء أساسي من العملية التربوية، ومن أهم ضرورات ذلك الحب: الكتب الجيدة، برنامج الأدب الجيد، والمدرسون الملهمون ذوو القدرة على المعرفة. أما ما يتصل بفائدة الدراسة الأدبية فإنها على اختلاف ألوانها ترمي إلى تهذيب الوجدان،

www.abulhasanalinadwi.org

وتصفية الشعور، وصقل الذوق، وإرهاف الإحساس — والتلاميذ في هذه السن في حاجة إلى تعهد هذا الجانب الوجداني بتلك الدراسة، وتزودهم بروائع الأدب في الماضي والحاضر، فللدراسة الأدبية المكانة الأولى في إعداد النفوس، وتكوين الشخصية، وتوجيه السلوك الإنساني بوجه عام، ففي كل نص أدبي زاد ثقافي يوسِّع الفكر، ويفتح الذهن، ويزيد صلة المتأدب بالحياة وفهمه لها، ولأن دراسة تاريخ الأدب تتيح للطالب الانتفاع بتجارب الجنس البشري في العصور المختلفة؛ فيتصل بالشخصيات البارزة في عالم الأدب، وقد يؤثر هذا في معلومات الطالب وتوجيهات حياته — فهذا الكتاب" مصادر الأدب العربي" من الكتب الجيدة التي أعدت لمساعدة طلاب الأدب في تحقيق الأهداف التالية:

- تنمية المعلومات والمعارف والثروة اللغوية، الذوق الأدبي، تنمية القدرة على النقد وعلى التعرف بالصور البيانية. تنمية القدرة على القيم الأخلاقية والجمالية، تنمية القدرة على القراءة المعبرة للشعر وتنمية مهاراتها. تنمية الإحساس بالحياة والتعبير عنها.
- الإلمام بما طرأ على اللغة العربية من عوامل النهوض، والاطلاع على الآثار الأدبية المختلفة التي تفاعلت مع الأحداث السياسية والاجتماعية، فخلقت طورا جديدا من أطوار اللغة أو ظاهرة من ظواهر الأدب.
- وأن يتخذ الطلاب من دراسة أعلام الأدب قدوة لهم، فيترسموا خطاهم وينهجوا منهجهم لأن الشبان يحتاجون في هذه المرحلة إلى المثل الجديرة بالمحاكاة.
- وأن يتمكن الطلاب بأنفسهم من مطالعة هذه المصادر الأدبية والاستفادة منها مباشرة أو التعرف عليها ليستفيدوا منها في مستقبل حياتهم.

www.abulhasanalinadwi.org

- سيكون الطالب بصيرا بالخط الذي يجب عليه أن يسير عليه في دراساته العلمية الأدبية – لأن هذه المصادر :
- تضم المواد الأدبية التي لها صلة بالأخلاق والدين وثقافة العرب، وترجع هذه النصوص إلى عصر كان الأدب والدين متزاملين.
- تحتوي على آداب العرب، وأقوالهم المحمودة، وحكمهم البصيرة، وأمثالهم السائرة، وخطبهم البليغة، وأشعارهم الحسنة.
- تزود الجيل الجديد بالثقة والاعتماد على التراث اللغوي والأدبي الذي تركه العلماء والأدباء، وأنه مسجل ومستند، بل صورة حية ناطقة دافقة بالحيوية والنشاط، وأن اللغة العربية مزدانة بالروايات اللغوية التي تتسع لها كل المواد والمعاني والقيم الدالة على الحركة والحياة، يعبر عنها المتحدثون بالعبارات والجمل.

ترتيب هذا الكتاب وتهذيبه واستخلاص الوسائل والأدوات من المصادر الموسوعية بعد الدراسة المتأنية والبحث الدؤب والتحليل الدقيق يدل على إحاطة المؤلف بموضوعات الأدب العربي من الجوانب المختلفة ومعرفته بحاجة الطلاب الأساسية لتنمية مؤهلاتهم العلمية والأدبية ومستوى ثقافتهم، ليكون الكتاب بمثابة موجه أدبي ومرشد ثقافي يساعدهم في تمرين الكتابة والخطابة وكيفية استخدام الألفاظ والتعبيرات ذات درجات مناسبة في رسم الشخصيات وتصوير المخايل والقسمات والتجاعيد في مجال التراجم والسير ووصف المناظر والمشاهد والحفلات وصفا يموج بالحيوية والحرارة والمرونة والحركة، ويعبر عن العواطف والمشاعر والأحاسيس والانعكاسات والانطباعات تعبيرا صادقاً، وفي جانب آخر نجد المولف حريصا على إيجاد الوعي الديني في الشباب والتنبيه على منهج كتابة التاريخ الإسلامي الصحيح فيهم .

www.abulhasanalinadwi.org

وضع الأستاذ الندوي في ترتيب هذا الكتاب ترتيبا زمنيا، بدأه من الجاحظ (م٢٥٥هـ) وأتى في النهاية إلى وفيات الأعيان لابن خلكان (م٦٨١هـ) فاختار المولف كتاب ابن خلكان كنموذج عملي[١] لاستخدام الخصائص البلاغية في مجالات التاريخ الأدبي والسير والتراجم، مع الأمثلة التطبيقية في أسلوب سهل جذاب، وللمؤلف الأسبقية في هذا المجال.

ثم هناك ميزة أخرى لهذا الكتاب، نجد هذه الميزة في نقد كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني نقداً بناء وتحليله العلمي يتصف بالاتزان، إشارة إلى العوامل الاجتماعية والسياسية والشخصية الخفية حيثما ظهر اتجاه جديد في القرن الرابع الهجري، وكان من نتيجة هذا الاتجاه أن خضع الأدب والتاريخ للنزعة الشيعية والتكسب معاً، التي نلاحظها غالبة على ما كتبه المسعودي والأصبهاني، كما ساعدت طبيعة الأصبهاني الخاصة على هذا الاتجاه، يلفت المولف — وهو داعية ومربي — أنظار الطلاب إلى هذه النزعة الشاذة في اختيار الروايات والاستناد اليها ومنهج الأصبهاني في تقديمها والاستدلال بها لأغراض خاصة حتى لا يقع الطلاب في المستنقع الفكري والثقافي، ويأخذوا الحذر والحيطة في دراسة هذا الكتاب الذي جعله المستشرقون مطية لتحقيق أغراضهم الخبيثة.

هذا العصر الذي نعيش فيه والبيئة الثقافية التي ينشأ فيها الشباب المسلم ويتنفس في أجوائها هي بيئة الهند البرهمية بعيدة كل البعد عن روح العربية والخصال الفطرية إلى جانب تأثر الجيل الجديد بالمجتمع الهندي الوثني، والتفاوت الطبقي، والذي زاد الطين بلة هو أن أطفال

---

[١] مع أن كتاب وفيات الأعيان لا يعتبر من المصادر الأدبية إلا أن الأستاذ الندوي استخرج من هذا الكتاب بعد التحليل والدراسة موازين وقواعد وأصول تكون بمثابة معالم وصوى يرشد الطلاب في مراحلهم الدراسية.

www.abulhasanalinadwi.org

المسلمين وشبابهم يصهرون بتؤدة وأناة ولكن بشكل منظم في بوتقة الشرك والقوالب البرهمية عن طريقة التعليم الإجباري ووسائل الإعلام الهندي – يضع هذا الكتاب أمام الطالب الهندي المجتمع العربي (الذي ينتمي إليه دينا وحضارة وثقافة) مع جميع خصائصه ومقوماته وحضارته ولغته الغنية وأدبه القوي الجميل، ويقضي هذا الكتاب على رواسب الشرك وآثار المجتمع الهندي، كما أن هذه المجموعة بمثابة كتاب الحماسة الذي جمعه أبو تمام، وكان الهدف في ا ختياره بناء الفرد الصالح وتشييد صرح الأمة الإسلامية ومقوماتها الحضارية، وتنمية الذوق السليم، ورهافة الإحساس، وصلاحية التمييز بين صحة المعاني وسقمها بسبب تغير الزمان واختلاف البيئات اللغوية وضعف السليقة التعبيرية لدى الجيل الجديد.

خلاصة القول أن كتابات الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي تتسم بثلاث سمات رئيسية وهي الأدب والفكر والدعوة إلى الإسلام من جديد – أو بتعبير آخر – إعادة ثقة الجيل الجديد بصلاحية قيادة الإسلام للإنسانية كلها. فبارك الله في حياته.

كتبه

نذر الحفيظ الندوي الأزهري

عميد كلية اللغة العربية وآدابها

بجامعة ندوة العلماؤ، لكناؤ(الهند)

١٤٣٣/١٢/٢هـ

٢٠١٢/١٠/١٩م

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بقلم: سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي(١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم ودعا بدعوتهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد!

فإن الموضوع الذي يسمى أدباً، إنما يحمل جوانب متنوعة وكثيرة، من معاني الحياة، مما يظهره الشعور الإنساني، في كلمات مترابطة، متصفة بروعة الظاهر، وحسن الأداء، وبقدر ما يكون الأداء فيه مصوراً لمدى الشعور الإنساني يكون الكلام المنتظم للعبارة ناجحاً ومفيداً، فالأدب بذلك يكون سفيراً معبراً لما يختلج في نفس صاحب الأدب، وبحيث إن الإنسان بشعوره وتصوراته يجول في أحوال كثيرة من الحياة، فالأدب بذلك يسع هذه الجوانب المختلفة لحياة الإنسان، وبه نستطيع أن ننفذ إلى أغوار النفس الإنسانية، ونطلع على ما فيها من تصورات ورؤى، وبذلك يحصل لنا من الإطلاع على النفس الإنسانية ما لا يحصل عن طريق آخر.

ويصبح هذا الموضوع مفيداً جداً بإعطائه لصور شعورية جذابة لطالب المعرفة المنطبعة بالمعاني النفسية، ولكن القدرة على فهم الأدب والوصول إلى أعماق الكلام لا تحصل ببساطة، بل إنما يفتقر الإنسان

---

(١) رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية لشبه القارة ودول شرق آسيا، ورئيس ندوة العلماء العام، الهند.

www.abulhasanalinadwi.org

في ذلك إلى معرفة خصائص الكلمة والكلام المؤتلف بها، ويحصل ذلك بإطلاع واسع على نماذج أدبية كثيرة، ولا يمكن ذلك إلا بقراءة واسعة مع الاستعانة بالتفاعل النفسي مع المقروءة، وتفيد في ذلك المؤلفات التي وضعها أو رتّبها مشتملة على نصوص كثيرة من هذا الطراز أقطاب هذا الموضوع.

واللغة العربية هي أغنى اللغات في هذا المجال، لأنها تعيش في نطاقها الأساسي الأول القائم منذ ألف وخمس مائة سنة، وهذه الميزة لم تحصل لأي لغة أخرى، فإن اللغة من شأنها أنها تتغير في ثلاثة أو أربعة قرون تغيراً فاحشاً بحيث لا يمكن الفهم لما فيها للقارئ المتأخر تأخراً زمنياً، أو تذوب وتنقطع على مر الزمن إلا اللغة العربية، فقد بقيت على مستواها، وبقي معها التراث الذي نشأ من أحوال حياة أصحابها في مختلف أدوار حياتهم، واشتمل هذا التراث على أنواع أدبية شتى لهذه اللغة، فاستطاع أدب اللغة العربية بذلك أن يقدم لنا أنواعاً من اتجاهات النفوس، وتصورات الأفراد والجماعات التي تعايشت مع هذه اللغة في أزمنة مختلفة وفي أحوال مختلفة، وأصبح بذلك للأدب خيرة كبيرة يمكن بها النفوذ إلى أحوال الشعوب المتتابعة والطبقات المتنوعة من أصحاب الأحوال والسلوك في الحياة، وحيث إن الأدب ثمرة من ثمرات اللغة، وحمل الأدب في اللغة العربية خيرات كثيرة من امتداده الطويل، فتنوعت جوانبه، وتعددت أغواره، فاحتجنا للاطلاع الدقيق على أحوال الأمة العربية الأدبية في مجالها النفسي في مختلف عصورها، إلى الاستفادة من مؤلفات أقطاب آدابها لكون آثار هؤلاء الأقطاب هدى ونبراساً لمعرفة الفوائد السلوكية والشعورية معرفة صادقة أمينة.

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا إنما يتحدث عما قدمه وبسطه

www.abulhasanalinadwi.org

أقطاب الأدب العربي القدماء وهم معروفون بكثرة ما أصدروه من معارف مفيدة بكتاباتهم البليغة، وقد ذكر المؤرخ العالم الأديب عبد الرحمن بن خلدون أهم هؤلاء الأقطاب بعدد أربعة وهم أديب العربية الكبير أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ، وأبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، وأبو العباس محمد بن يزيد المبرد، وأبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون القالي البغدادي.

أما كلمة الأدب فقد كانت تستعمل في القديم لاختيار الأخلاق المهذبة، وما يتعلق بها، وقرر الإسلام لهذه الأخلاق خصائصها وحدودها، والأدب باشتماله على هذه الصفات والخصائص يصبح معرفة إنسانية مؤثرة يرغب إلى الاطلاع عليها وإلى ذكرها كل من يريد معرفة الجمال النفسي، والكرم الخلقي، وقد ذكر الشعراء كل ذلك بأسلوب مؤثر، وأصبحت الحكايات التي تتصل بها تعد مادة رائعة لهذا الفن حتى إن أبا تمام سمى الباب الذي جمع فيه شعراً من هذا القبيل باب الأدب، وقد كثرت المادة في هذا الباب حتى استوعب كل معنى فيه متعة للنفس لجمال أدائه، وروعة ما يضمره من فكر أو خيال، وأصبحت القدوة لكل ذلك ما ورد في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف من موضوعات شيقة في كلام رائق ومعان رائعة تستأثر ذهن القارئ والسامع شعراً كان أو نثراً، وأصبح كل ذلك مادة فياضة للقراءة والتعليم، حتى صار اسم المعلم مؤدباً، وأصبحت التربية على هذه المواد الرائعة المفيدة تأديباً، وقد ورد في الحديث الشريف: " أدبني ربي فأحسن تأديبي"(١) وجاء عن القرآن الكريم في

---

(١) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري (م : ٩٧٥هـ): ٤٠٦/١١ : تحقيق: بكري حياني - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الطبعة الخامسة ،١٤٠١هـ/١٩٨١م.

www.abulhasanalinadwi.org

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "القرآن مأدبة الله في الأرض فتعلموا من مأدبته"(١).

وبقي للأدب هذا التصور الحامل للأخلاق المهذبة والمعاني الرائعة للحياة في كلام رائع وتعبير بليغ عدة قرون، وجمعها واستوعبها بقدر المستطاع كتب ألفها أصحاب الذوق البارع من أهل العلم، وجمعوا فيها كل ما ينطبق عليه هذا التصور، وأصبحت كتب منها مصادر وموسوعات في هذا المجال، عينها رجال من كبار أهل البصيرة العلمية والأدبية في أربعة كتب، كما ذكر ذلك ابن خلدون، ووافقه رأيه أكثر من جاء بعده من أهل المعرفة لهذا الموضوع.

ولو ألقينا نظرة في هذه المصادر والموسوعات الأدبية المذكورة بالمفهوم الذي ذكرته لوجدنا هذه الصورة لمفهوم الأدب استمرت عدة قرون منذ التاريخ الإسلامي والتاريخ العربي، وتمثل هذا المفهوم من الأدب كتب المصادر المذكورة هذه، وبالإضافة إلى ذلك نرى أن كل كتاب من هذه الكتب يمتاز امتيازاً خاصاً بمنهجه وأداء مضمونه، فكتاب "البيان والتبيين" يشتمل على مواد مفيدة لتقويم اللسان، وجمال المعنى مع وفرة المادة الثقافية بامتزاجها بمادة فكرية عذبة، كما أن كتاب "الأمالي" للقالي يجمع مادة تروق قرائح المقدرين بالتعبير الجميل من شعر ونثر، أما "أدب الكاتب" لابن قتيبة فإنه يذكر أبعاد تغير الكلمة وتطوراتها، ويذكر خصائص هذه الفروق للاشتقاقات، أما كتاب "الكامل" للمبرد فقد جمع ثروة قيمة للبلاغة العربية،

---

(٢) المعجم الكبير لسليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني: ١٣٠/٩، مكتبة العلوم والحكم — الموصل، الطبعة الثانية ؛ ١٤٠٤ — ١٩٨٣؛ تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي، و نثر الدر لأبي سعد منصور بن الحسين الآبي: ٥١/٢، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م الطبعة : الأولى، تحقيق : خالد عبد الغني محفوظ.

www.abulhasanalinadwi.org

والكلام البليغ، لعصر الاستشهاد والاستناد، ولذلك وضع أعلاماً في معرفة الأثر الأدبي للاهتداء بها في الصناعة الأدبية إن صحت كلمة الصناعة وصفا للعمل الأدبي، ولا شك أن اهتمام الأديب والشاعر بتجويد المعنى وتحسين التعبير لا يخلو من معنى الصناعة، فليس غريباً أن نطلق على عمل البيان الذي يتصف بالاهتمام بأدائه صناعة، ولكن يجب أن نضيف إليه كلمة الأدب.

هذه الثروة الثقافية والكلامية تعد قاعدة أساسية لكل من يسير في موكب هذا الموضوع الطريف، بناء على المحافظة على الموضوع بما تقرر في الأسس الكلامية الأدبية التي تحتويها هذه الكتب، وإن الطريف في الأدب العربي يكون تليداً كذلك، كما يكون تليده طريفاً كذلك، وذلك لما تجول في قرائح المحدثين بالمحافظة على معطيات القديم، فالأدب العربي بذلك قديم وجديد معاً، لما نجد بينهما من ارتباط واتصال، فأي طالب من طلبة الأدب، وأي مشتغل بالأعمال الأدبية لا يمكنه أن يستغني عن هذا التراث القديم، فكان من أهم ما يوصيه أستاذ الأدب طلبته للأدب أن يرجعوا إلى أمهات الكتب في الأدب هذه.

ولما كان ذكر هؤلاء الأقطاب مع ذكر بعض الآخرين من غيرهم ممن كانوا في مستواهم مادة دراسية مقررة في منهج العلوم الأدبية في دار العلوم لندوة العلماء لكناؤ، وكان الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي(١) عميد كلية اللغة العربية وآدابها بدار العلوم لندوة العلماء ذا اختصاص في هذا الموضوع، فاجتمع له في مدى عدة سنوات في محاضراته في هذا الموضوع عدة محاضرات،

---

(١) المستشار التعليمي لندوة العلماء، لكناؤ، الهند، والأمين العام لرابطة الأدب الإسلامي العالمية لشبه القارة ودول شرق آسيا.وعميد كلية اللغة العربية وآدابها سابقاً بجامعة ندوة العلماؤ لكناؤ.

www.abulhasanalinadwi.org

وأصبحت تتكرر كل سنة، فاستحقت أن تجمع وتنشر في كتاب، وطلبنا نحن منه واقترحنا عليه أن يقوم بإعدادها للطبع وهو يقدمها باسم" مصادر الأدب العربي" إلى القراء.

والأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي يمتاز في معرفة الأهمية والخصائص الفنية لهذه المصادر الأدبية، فقد درسها وألقى محاضرات تعريفية وتقديره لهذه الكتب في موضوعها، فعرف مزاياها ومناهجها من ناحية ما ينفع كل دارس للتراث الأدبي، فإن لكل كتاب منها منهجاً خاصاً، وقيمة تميزه عن غيره، وإنه وضع محاضراته حول النقاط المهمة لكل كتاب من هذه الكتب، وعرض أمثلة لهذه الميزات، مع بيان درجة مؤلف الكتاب بين أقطاب الموضوع الأدبي القدماء، ومكانته في أوساط أعلام الأدب، ونظراً إلى أن بعضاً من الكتب الأخرى التي ألفت في مثل ذلك العهد تعادل في قيمتها العلمية والفنية هذه الكتب الأربعة، فأضاف إليها ثلاثة أخرى من تلك الكتب ألفها مؤلفوها على مستوى هذه الكتب الأربعة، وعدَّها بعض نقاد الأدب الجدد أيضاً من هذا المستوى الرفيع.

وإن نظرة على هذه المجموعة القيمة المفيدة لبيان مصادر الأدب تدل على قيمة هذا العمل، فقد بذل عناية كبيرة ووقتاً طويلاً في إمعان النظر في محتويات هذه الكتب لسبر أغوارها الفنية والعلمية والأدبية، وبعد إعداد هذه المجموعة راجعها مراراً وهذبها تهذيباً، وزاد فيها ما يزيد قيمتها وجدواها، فأنا بنظرتي على هذه المجموعة أعدُّ هذا العمل قيماً مفيداً جداً، ولاشتمالها على المادة النافعة علمياً وأدبياً ودينياً كذلك أرى أن كل طالب يهتم بالاطلاع على هذه المجموعة سيكون بصيراً بالخط الذي يجب عليه أن يسير عليه في دراساته العلمية والأدبية الإسلامية، والله هو الموفق.

www.abulhasanalinadwi.org

ندعو الله تعالى أن يكون نفعه عظيماً، وعمله هذا مقبولاً، فقد أراد به المؤلف خدمة هذه اللغة الكريمة بناء على أن هذه اللغة ليست مجرد لغة، بل إنها خزانة لأنواع الأخلاق الحسنة والمشاعر الطيبة، ومحاسن السلوك و العمل مستفادة من كتاب الله المجيد وكلام رسوله الأمين الذي قال عن نفسه: "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" ففي هذه اللغة كل هذه المعاني، وفيها الأحوال النفسية من عهد الصحابة الكرام البررة إلى قرون كان قد عم وتوسّع فيها العلم والمعرفة والأخلاق، فيستطيع المسلم أن يستمد من هذه الأحوال الكريمة شيئاً كثيراً لتربية مشاعره وتحقيق حاجته إلى تجويد الفهم، وجميل الأداء لما يحسن ويفيد، وتنمية قدراته التعبيرية كذلك.

كتبه

١١/٧/١٤٢٥هـ — محمد الرابع الحسني الندوي

٢٨/٨/٢٠٠٤م — الرئيس العام لجامعة ندوة العلماء لكناؤ (الهند)

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين خاتم النبيين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد!

فهذه محاضرات أعددتها لطلبة التخصص في الأدب العربي، عند ما أسند إليّ تدريس هذه المادة، وكان الوقت الذي خُصص لهذه المادة محدوداً، فأكتفيت بتعريف وجيز للكتب الأربعة التي اتفق عليها الأدباء، كما صرح العلامة عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته، فقال:

"سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين، وهي: كتاب الكامل للمبرد، وأدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي، وما سوى هذه الأربعة فتوابع لها وفروع عنها"(١).

وكان قصدي في عرض هذه الكتب التي تعتبر أصول الأدب العربي أن يتمكن الطالب بنفسه من مطالعة هذه الكتب والاستفادة منها، أو التعرف عليها ليستفيد منها في حياته المستقبلية إذا تولى تدريس الأدب العربي، أو الكتابة في أي موضوع له صلة باللغة العربية، فكنت بعد تعريف موجز أدعو الطالب إلى مراجعة هذه الكتب بنفسه، وعادة أطلب منه بأن يكتب هو بعد مراجعة الكتاب تعريفاً لكتاب من هذه الكتب الأربعة.

---

(١)مقدمة ابن خلدون: ١٢٧٧/٣؛ دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي.

www.abulhasanalinadwi.org

وبهذا الاعتبار هذه المحاضرات تكتفي بالعرض، أو التنبيه، وإرشاد الطلبة إلى أخذ فكرة عن كتب المصادر الرئيسية، وليست بدراسة، أو بحث، أو تحقيق، أو نقد، سوى ما نقل فيها من آراء العلماء في بيان خصائص كل كتاب أو نقد أمين.

وقد رغب بعض محبي الأدب أن تطبع هذه المحاضرات لتتوسع الاستفادة منها، أو تسهل الاستفادة منها لطلبة الدارسين لهذا الموضوع، فأضفت ثلاثة كتب أخرى لها صلة بالأدب، وتستحق أن تعتبر مراجع الأدب، أو الأدباء، وهي كتاب الأغاني للأصفهاني، والعقد الفريد لابن عبد ربه، ووفيات الأعيان لابن خلكان، وقد ذكر الأستاذ أحمد حسن الزيات كتاب العقد الفريد والأغاني في مراجع الأدب.

إن هذه المصادر تضم المواد الأدبية التي لها صلة بالأخلاق والدين، وثقافة العرب، وترجع هذه النصوص إلى عصر كان الأدب والدين متزاملين، ورجال هذه النصوص ينتمون إلى القرنين الأولين للهجرة، لأن جامعي هذه النصوص يرجعون إلى القرن الثالث، وقد كان للدين توجيه وإرشاد للأدب في ذلك العهد، فقد قال ابن قتيبة صاحب أدب الكتاب للأدباء في كتابه: " هذبوا أنفسكم قبل أن تهذبوا ألفاظكم". ودعا إليه عبد الحميد، والجاحظ، وقد ذكر أصحاب هذه المصادر النصوص الدينية المقتبسة من القرآن والحديث، وكلام الصالحين باهتمام بالغ، وبحثوا مسائل تتعلق بأسرار اللغة العربية، وتاريخ العرب، وتاريخ الإسلام وثقافته، فتنفع هذه المواد سائر الطبقات من القراء.

وأكثر من ذلك أن الأدب العربي مفتاح للعلوم الإسلامية؛ لأنه ينمّي الذوق، وصلاحية فهم اللغة العربية، وخير دليل على ذلك ما حكى ابن خلكان في كتابه "وفيات الأعيان" عن أبي العباس ثعلب.

www.abulhasanalinadwi.org

قال أبو العباس ثعلب لأبي بكر ابن مجاهد المقري: "يا أبا بكر اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا، واشتغل أهل الحديث بالحديث ففازوا، واشتغل أهل الفقه بالفقه ففازوا، واشتغلت أنا بزيد وعمرو، فليت شعري ماذا يكون حالي في الآخرة؟ فانصرفت من عنده، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة في المنام، فقال: أقرئ أبا العباس عني السلام، وقل له: أنت صاحب العلم المستطيل، قال أبو عبد الله الروذباري العبد الصالح: أراد أن الكلام به يكمل، والخطاب به يجمل، وأن جميع العلوم مفتقرة إليه (١).

وإني أشكر العزيز الأستاذ بلال عبد الحي الحسني الندوي مساعد مدير دار عرفات برائي بريلي، فهو الذي اعتنى بطبع الكتاب، كما أشكر العزيز الأستاذ محمد وثيق الندوي الذي راجع المسودة و حققها، وساعدني في إدخال تحسينات وإضافات، ونقلها وتنسيقها، فلهما الشكر الجزيل، وجزاهما الله خير الجزاء.

محمد واضح رشيد الحسني الندوي

ندوة العلماء لكناؤ(الهند) ١٤٢٥/٥/١٣هـ

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ١/١٠٢- ١٠٣

www.abulhasanalinadwi.org

القسم الأول

مصادر الأدب : ١

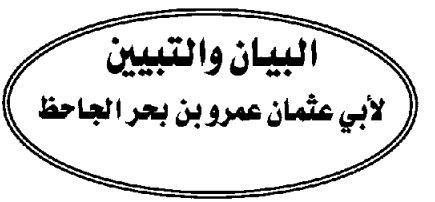

www.abulhasanalinadwi.org

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، والأرجح أنه كناني بالولاء، لا كناني صلبية، فقريب الجاحظ يموت بن المزرّع، وكان جد الجاحظ أسود، يقال له فزارة، وكان جمالاً لعمرو بن قلع الكناني (١).

اختلف المؤرخون في تاريخ مولده، ولكنهم يتفقون على تاريخ وفاته، وهو عام ٢٥٥ هـ، وقد عمّر حوالي ٩٦ عاماً، فيمكن أن يكون مولده حول سنة ١٥٩هـ.

ولد في البصرة، وأخذ النحو عن الأخفش، والكلام عن النظام، وكان يذهب إلى مربد البصرة، ويأخذ عن العرب شفاهاً، وأولع بالقراءة، فقالوا إنه لم يقع بيده كتاب إلا استوفى قراءته كائناً ما كان، وكان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر.

أخذ العربية عن أمثال الأصمعي، وأبي زيد، وأخذ الثقافة اليونانية عن حنين بن إسحاق، وسِلمويه وأمثالهما، وحذق الثقافة الفارسية من كتب ابن المقفع، وأخذ عن أبي عبيدة، وتوسع في الثقافات كلها.

اتصل الجاحظ بالعامة والخاصة، برجال السوق، والمهن، والحرف، وبالعلماء والأدباء، وبالأمراء والخلفاء، وأخذ عن كل من اتصل به، ودرس حياة رجال الطبقات المختلفة، ووصفها في كتبه،

---

(١) معجم الأدباء ص ٧٤/١٦

www.abulhasanalinadwi.org

فتتجلى دراسته للحياة ولمسائل الحياة وألوانها، من شقاء وسعادة، ومن فكر وخيال، وعاطفة، وجد وهزل، وقلما اعتنى بهذا الجانب الواقعي من حياة العامة والخاصة، أديب من أدباء العربية كالمبرد، والقالي، وابن قتيبة، ممن عاصرهم الجاحظ.

وكتب الجاحظ في كل موضوع من المعلمين، واللصوص، والذئاب، والقيان، والفرق، والقضاة، والولاة، وأمهات الأولاد، ومن الإماء إلى الحور والعور، ولا يكون من المبالغة إذا قيل إن كتبه دائرة معارف لزمانه، غير مرتبة على أحرف الهجاء.

وتظهر في كتابات الجاحظ شخصيته ظهوراً تاماً، وقد تحرر من قيود كثيرة تقيد بها علماء عصره، تحرر من التزام الجد وثقل الغموض، ويخلط الجد بالهزل، ويسيغك اللقمة الجافة بكثير من الحلوى.

قال المسعودي:

" لا يعلم أحد من الرواة وأهل العلم أكثر كتباً منه، وكتب الجاحظ مع انحرافه المشهور تجلو صدأ الأذهان، وتكشف واضح البرهان، لأنه نظمها أحسن نظم، ورصفها أحسن رصف، وكساها من كلامه أجزل لفظ، وكان إذا تخوف ملل القارئ وسآمة السامع خرج من جد إلى هزل، ومن حكمة بليغة إلى نادرة لطيفة (١)

غلبت على الجاحظ النزعة الأدبية في كل ما كتب حتى في الحيوان، فهو يتخير خير الألفاظ، وأحسن التعبيرات، ويفر سريعاً من التحقيق العلمي إلى رياض الأدب، من شعر أو حكمة أو نادرة.

مؤلفاته

له تآليف، منها خلق القرآن، والرد على المتشبهة، والرد على

---

(١) مروج الذهب: ٢٢

www.abulhasanalinadwi.org

النصارى، وكتاب الاعتزال، وكتاب العرب والموالي، والعرب والعجم، وفضائل الأتراك، والسودان والبيضان، والبخلاء، والسلطان وأخلاق أهله، والجواري، والحاسد والمحسود، وكتاب الزرع والنخل، وكتاب الأسد والذئب، وكتاب الحيوان.

ومن أهم كتبه "البيان والتبيين"، وهو من مصادر الأدب الأربعة، و"كتاب الحيوان" و"كتاب البخلاء" وله مجموعة رسائل، وكل رسالة منها مثابة كتاب.

www.abulhasanalinadwi.org

البيان والتبيين

اسم الكتاب:البيان والتبيين/البيان والتبين:

المعروف عامة أن اسم الكتاب "البيان والتبيين" ولكن أثار بعض الكُتَّاب المتأخرين، وفي مقدمتهم جماعة المستشرقين، شكوكاً حول اسم الكتاب، وقالوا: إن موضوع الكتاب يقتضي أن يكون اسم الكتاب "البيان والتبين"، وإن الجاحظ استخدم "التبين" في بعض المواضع، يقول الأديب المحقق المغربي الدكتور الشاهد البوشيخي في كتابه "مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبين" للجاحظ:

" أول من أثار قضية تسمية الكتاب أن الاسم الحقيقي هو البيان والتبين، البارون ماك كوكين دي سلان (LE BARON MAC GUCKAN DE SLANE) في ترجمته الإنجليزية لوفيات الأعيان التي صدرت بباريس عام ١٨٣٨م، قال عند ذكر كتب الجاحظ "المخطوط بخط المؤلف التبين".

جزم كليمان هيوارت (CLEMENT HUART) بأن الصواب هو التبين.

كارل بروكلمان (CARL BROCKEMANN): إنه أشار إلى التبين، وذكر في تاريخ الأدب العربي متحدثاً عن كتب الجاحظ: كتاب البيان و التبيين أو التبين.

عبد السلام هارون أشار إلى التبين في مواضع كثيرة، خلال تحقيقه للكتاب.

www.abulhasanalinadwi.org

إبراهيم سلامة: أشار إلى رأي هيوارت، قال في كتابه "بلاغة أرسطو بين العرب واليونان "معلقاً على كلمة التبيين الموجودة بعنوان "التبيين": "يقرأه هيوارت التبين، بدل التبيين، ويرى أن الكلمة الأولى تشير إلى النقد و التحقيق أكثر من الكلمة الثانية.

بدوي طبانه، جزم كهيوارت بأن " التبين " هي الصواب.

وقد عارض هذه الآراء كلها الطاهر مكي بشدة.

يرى ميشال عاصي أن الاسم الحقيقي هو التبين، وادعى أن التبين أليق بالكتاب من التبيين، وقد ورد التبين في الكتاب في مواضع كثيرة، كذلك في عدة النسخ، مثلا في نسخة مكتبة فيض الله بالآستانة: "يشتمل هذا السفر على جميع كتاب البيان والتبين (بتشديد الياء المضمونة) تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. رواية أبي جعفر البغدادي.

و تاريخ نسخة الكتاب ٣٤٧هـ، أي بعد وفاة أبي عثمان بأقل من قرن، وكذا في النسخ الأخرى ورد لفظ التبين بدلا من التبيين (١).

تاريخ التأليف:

ألفه الجاحظ في أخريات حياته، إلا أنه لا يوجد نص لذلك، إلا ما كتبه الجاحظ: وكانت العادة في كتب الحيوان أن أجعل في كل مصحف من مصاحفها عشر ورقات من مقطعات الأعراب، ونوادر الأشعار لما ذكرت من عجبك بذلك، فأحببت أن يكون حظ هذا الكتاب في ذلك أوفر إن شاء الله ".

لمن ألفه:

المعروف أن الجاحظ أهدى كتاب "البيان والتبيين" إلى القاضي أحمد بن داود، كما أهدى كتاب "الحيوان"إلى الوزير محمد بن عبد

(١) راجع: مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان و التبين للجاحظ / الدكتور الشاهد البوشيخي.

www.abulhasanalinadwi.org

الملك الزيات المتوفى سنة ٢٣٣هـ، وكتاب "الزرع" و"النخل" إلى الكاتب إبراهيم بن العباس الصولي المتوفى سنة ٢٤٣هـ، وكل منهم أعطاه خمسة آلاف دينار، ويدل ذلك على أن هذا الكتاب ظهر بعد مقتل ابن الزيات سنة ٢٣٣هـ.

بدء الكتاب:

بدأ الجاحظ كتابه بالتعوذ من العي، والحصر، والسلاطة، والهذر، والعجب، ثم ذكر أشعاراً تعوذوا فيها قديما بالله من هذه العيوب، قال النهر بن تولب:

أعذني رب من حصر وعي ومن نفس أعالجها علاجا

وقال بشار الأعمى:

وعي الفعال كعي المقال وفي الصمت عيّ كعيّ الكلم

وذكر أقوال الحكماء في عيوب الكلام، ثم ساق حكاية موسى عليه السلام في طلبه من الله تعالى أن يحل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله، وانتقل إلى فصاحة اللسان ونعمتها، و بعده بين الآيات في البيان، منها " الرحمن علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان " .

وعاب التشديق والتقعير والتقعيب، وفضّله على العيّ المتزيّد، والحصر المتكلف، فيقول:

"اعلم أبقاك الله، أن صاحب التشديق والتقعير والتقعيب (١) من الخطباء والبلغاء مع سماحة التكلف وشنعة التزيد، أعذر من عيّ يتكلف الخطابة، ومن حصر يتعرض لأهل الاعتياد والدربة، ومدار اللائمة ومستقر المذمة، حيث رأيت بلاغة يخالطها التكلف، وبياناً يمازحه التزيد إلا أن تعاطى الحصر المنقوص مقام الدرب التام أقبح من

(١) تشدق الرجل: لوى شدقه للتفصح، التقعير أن يتكلم بأقصى قعر فمه، التقعيب التقعير فيه.

www.abulhasanalinadwi.org

تعاطي البليغ الخطيب ومن تشادق الأعرابي القح".

ثم ذكر بعض العيوب التي توجد في كلام الفصحاء، والخطباء، كواصل بن عطاء، الذي كان غير قادر على نطق الراء، ومحمد بن شبيب المتكلم، الذي كان غير قادر على نطق الغين.

ثم استطرد إلى فصاحة واصل بن عطاء شيخ المعتزلة، وذكر لثغته في الراء، وكيف كان يتجنب الراء في الكلام، فيقول القمح بدل البر.

واللثغة في الراء تكون بالغين والذال والياء، والغين أقلها قبحاً، وأوجدها في كبار الناس وأشرافهم وعلمائهم، وكانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين، وكان واصل بن عطاء قبيح اللثغة شنيعاً.

ويذكر الجاحظ أنواع اللثغة فيقول:

"اللثغة التي تعرض للسين تكون ثاء كقولهم باثم الله مكان باسم الله، واللثغة في القاف، فيجعل صاحبها القاف طاءاً، فإذا أراد أن يقول قلت له: قال طلت له، واللثغة في اللام، فإن أهلها يجعل اللام ياءاً، فيقول محل اعتللت اعتييت، وبدل جمل جمي، واللثغة في الراء كثيرة فبعضهم يجعلون الراء ياءاً، وآخر غيناً، ومنهم من يجعل الراء ذالاً".

ثم ذكر عيوب اللسان من تعتعة وغيرها، ويقول: قال الأصمعي: "إذا تتعتع اللسان في التاء فهو تمتام، وإذا تتعتع في الفاء فهو فأفاء".

قال أبو الزحف:

لست بفأفاء ولا تمتام ولا كثير الهُجُر في المنام[1]

وقال أبو عبيدة:

"إذا أدخل الرجل بعض كلامه في بعض فهو ألف وقيل: بلسانه لفف، كقول أبي الزحف الراجز:

---

(١) الهجر: المزخرف والمزين.

www.abulhasanalinadwi.org

كـأن فيـه لففـا إذا نطـق من طول تحبيس وهم وأرق

والذي يتلجج في الكلام لجلاج، كقول الشاعر:

ليس خطيب القوم باللجلاج ولا الـذي يزحـل كالهلبـاج[1]

وبعد ذكر عيوب الناس انتقل إلى الخطباء والشعراء، وذكر عدداً منهم، وذكر المطبوعين على الشعر، وذكر منهم بشاراً، والسيد الحميري، وأبا العتاهية، ويحيى بن نوفل، وسلم الخاسر، وأبان بن عبد الحميد اللاحقي، وقال: بشار أطبعهم كلهم.

ويرى الجاحظ أن لكل لغة حروفاً تدور في أكثر كلامها كنحو استعمال الروم للسين، واستعمال الجرامقة للعين، وقال الأصمعي: "ليس للروم ضاد، ولا للفرس ثاء، ولا للسرياني ذال".

ثم يعود إلى عيوب اللسان، و يذكر تنافر الحروف، وتنافر الألفاظ عند العرب، يذكر الأشعار في ذم المتكلمين الذين في كلامهم عيوب، فيقول: ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر، وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلا بالاستكراه، كقول الشاعر:

وقـبر حـرب بمكـان قفـر وليس قرب قبر حرب قبر

وقال شاعر:

وبعض قريض القوم أولاد علة يكدّ لسان الناطق المتحفّظ[2]

وشاعر يقول:

وشعر كبعر الكبش فرق بينه لسان دعيّ في القريض دخيل

أجود الشعر

وقال:

"أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فيعلم

---

(١) الهلباج: أحمق

(٢) أولاد علّة: بنو رجل واحد من أمهات شتى.

www.abulhasanalinadwi.org

بذلك أنه أفرغ إفراغاً جيداً، وسبك سبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري على الدهان، ومن الشعر ما لا تتنافر أجزاؤه ولا تتباين ألفاظه، كقول شاعر:

رمتني وستر الله بيني وبينها ... عشية آرام الكناس رميم

رميم التي قالت لجارات بيتها ... ضمنت لكم أن لا يزال يهيم

ألا ربّ يوم لو رمتني رميتها ... ولكن عهدي بالنصال قديم

وقال:

من كان ذا عضد يدرك ظلامته ... إن الذليل الذي ليست له عضد

تنبو يداه إذا ما قلّ ناصره ... ويأنف الضيم إن أثري له عدد[1]

ومثل افتراق الألفاظ، افتراق الحروف، فإن الجيم لا تقارن الظاء، ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم ولا تأخير، والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد، ولا الذال بتقديم ولا تأخير.

ويعتقد الجاحظ أن حاكي كل لغة غير لغته يُعلم، مهما كان لفظه متخيراً وفاخراً، ومعناه شريفاً كريماً، مثلا إذا تكلم الخراساني فإنك تعرف مع إعرابه وتخير ألفاظه في مخرج كلامه أنه خراساني.

ويقول: إن السندي إذا جُلب كبيراً، فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زاياً، ولو أقام في علياء تميم، وسفلى قيس، وبين عجز هوازن خمسين عاماً، وكذلك النبطي القحّ خلاف المغلاق(٢)، الذي نشأ في بلاد النبط، لأن النبطي القح يجعل الزاي سيناً، فإذا أراد أن يقول زورق قال سورق، ويجعل العين همزة، فإذا أراد أن يقول مشمعل قال مشمئل.

---

(١) أثري: كثر.

(٢) المغلاق الذي يستعصي عليه الكلام.

www.abulhasanalinadwi.org

وكان أبو مسلم الخراساني جيد الألفاظ، وجيد المعاني ولكنه كان إذا أراد أن يقول قلت له قال كلت له، وقال بعض الشعراء في لكنة امرأة:

أكثر ما أسمع منها في السحر تذكيرها الأنثى وتأنيث الذكر

ومن ذكر العي واللكنة وإبدال الحروف وعيوب اللسان ينتقل الجاحظ إلى الموضوع الذي ألف كتابه من أجله وهو البيان.

ويبدو للقارئ أن هذه الموضوعات التي تناولها في تمهيد كتابه توافق طبيعة الجاحظ في البحث فإنه يذكر الجانب المعارض أولاً، ثم يتناول الجانب الذي يدعو إليه، ويقدم الصورة المقابلة السيئة قبل الصورة الجميلة، ولعله يعتقد أن الخروج من السوء إلى الخير يفتح قلب الإنسان لمعرفة النعمة، فذكر نعمة البيان والإفصاح، بعد عيوب اللسان ومشكلات البيان.

www.abulhasanalinadwi.org

باب البيان

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

ما هو البيان؟

قال بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني: المعاني القائمة في صدور العباد، المتصورة في أذهانهم، والمتخلجة في نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم، مستورة خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، و موجودة في معنى معدومة.

ثم يقول: على قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور كان أنفع وأنجع، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله تبارك وتعالى يمدحه ويدعو إليه ويحث عليه، وبذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب، وتفاضلت أصناف الأعجام.

ويقول:

"البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجب دون الضمير، حتى يفضى السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله، كائناً ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان ذلك الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم، والإفهام، فبأي شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو

www.abulhasanalinadwi.org

البيان في ذلك الموضع".

الفرق بين المعنى و اللفظ:

ثم بين الجاحظ الفرق بين المعاني والألفاظ.

فالمعاني مبسوطة إلى غير غاية، وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة ومحدودة.

وسائل البيان

يقول الجاحظ: إن أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء، لا تنقص ولا تزيد، أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال، وتسمى نصبة (١)، و النصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة.

سبب تأخير هذا الباب

يقول الجاحظ: كان في الحق أن يكون هذا الباب في أول هذا الكتاب، ولكنا أخرنا لبعض التدبير، وبين الجاحظ الفرق بين البيان والعي، بالاستشهاد بأقوال العلماء، ثم يبين أصناف البيان من اللفظ والإشارة وغيرهما من الأصناف. فيقول: البيان بصر، والعي عمى.

الإشارة

ويسهب الجاحظ في بيان الدلالة بالإشارة، فيقول:

الإشارة باليد، وبالرأس، وبالعين، والحاجب، والمنكب، إذا تباعد الشخصان، وبالثوب، والسيف، والسوط.

والإشارة واللفظ شريكان، وكثيراً ما تنوب الإشارة عن اللفظ.

---

(١) النصبة مكسورة: الهيئة، النوع.

www.abulhasanalinadwi.org

ويقول: أحياناً تكون الإشارة أبلغ، ويورد قول الشاعر في الدلالة بالإشارة:

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة مذعور ولم تتكلم

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحباً وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيم

وفي هذا المعنى يتعارض رأي الجاحظ عن بشار الذي ينكر دور العين في التأثير، فيأتي الجاحظ بقول شاعر يقول:

العين تبدي الذي في نفس صاحبها من المحبة أو بغض إذا كانا

والعين تنطق والأفواه صامتة حتى ترى من ضمير القلب تبياناً

ويرى الجاحظ أن مبلغ الإشارة في الدلالة على المعنى أبعد من مبلغ الصوت.

الخط:

ثم يذكر الجاحظ الدلالة بالخط، ويذكر فضائل الخط، والكتابة على اللسان فيقول: أما الخط فقد ذكر الله تعالى في كتابه من فضيلة الخط: "اقرأ و ربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم"، وأقسم به في كتابه المنزل على نبيه " ن، والقلم وما يسطرون"، ولذلك قالوا: القلم أحد اللسانين، وقالوا: القلم أبقى أثراً، واللسان أكثر هذراً..

العقد:

ثم يذكر العقد، والآيات القرآنية التي تدل على فضيلته وعظم قدر الانتفاع به فيقول: أما القول في العقد وهو الحساب دون اللفظ والخط، فالدليل على فضيلته وعظم قدر الانتفاع به، قول الله عز وجلّ: "فالق الإصباح و جاعل الليل سكناً، والشمس والقمر حسباناً،

www.abulhasanalinadwi.org

ذلك تقدير العزيز العليم" وقال عز و جل: "الرحمن علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، الشمس والقمر بحسبان"، وقوله: "هو الذي جعل الشمس ضياء، والقمر نوراً، و قدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب، ما خلق الله ذلك إلا بالحق" ، ويقول: الحساب يشتمل على معان كثيرة، ومنافع جليلة.

النصبة

ثم يذكر النصبة فهي الحال الناطقة بغير اللفظ، والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السماوات والأرض، وفي كل صامت، وناطق، وجامد، ونام، ومقيم وظاعن، وزائد وناقص.

الحال :

أما الحال، فهو ظاهر في خلق السموات والأرض، قال الشاعر:

إن السماء وإن الأرض شاهدة ... والأرض تشهد والأيام و البلد

لقد جزيت بني بدر ببغيهم ... يوم الهباءة يوما ما له قود

و قال نصيب:

أقول لركب صادرين لقيتهم ... قفا ذات أوشال و مولاك قارب

قفوا خبرونا عن سليمان إنني ... لمعروفه من أهل ودّان طالب

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت ... ولوسكتوا أثنت عليك الحقائب

أحسن الكلام

بعد تعريف البيان ووسائل البيان ينتقل الجاحظ إلى البيان المؤثر في القلب، ويفتتح بحثه بقول سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: "قيمة كل إنسان ما يحسن" ويقول: فلو لم نقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها كافية ومجزية مغنية، بل

www.abulhasanalinadwi.org

لوجدناها فاضلة على الكفاية، وغير مقصرة عن الغاية، ويقول: أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، ويقول: إذا كان المعنى شريفاً، واللفظ بليغاً، وكان صحيح الطبع، بعيداً عن الاستكراه، ومنزهاً عن الاختلال ومصوناً عن التكلف صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة.

قال عامر بن عبد القيس: الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان، لم تجاوز الآذان، وقال الحسن رضي الله عنه وقد سمع متكلماً واعظاً لم يؤثر وعظه في نفسه، "يا هذا إن بقلبك لشراً أو بقلبي" ويورد الجاحظ أقوالاً كثيرة في تأثير الكلام، وشروط تأثيره، ويؤكد أهمية القريحة وصفاء القلب، والوجدان في التأثير.

ويذكر الجاحظ بعض نماذج الكلام الجميل، و تعريفات الكلام الجميل، ثم ارتباطه بالعقل، ونقل قول عبد الله بن عباس عن بعض أهله، : أني أكره أن يكون مقدار لسانه فاضلاً على مقدار علمه، كما أكره أن يكون مقدار علمه فاضلاً على مقدار عقله .

ويبدأ الجاحظ كلامه مرة ثالثة ببسم الله الرحمن الرحيم، ويأتي بأقوال في تعريف البلاغة.

البلاغة

أخبرني أبو الزبير كاتب محمد بن حسان، وحدثني محمد بن أبان ـ و لا أدري كاتب من كان ـ قالا :

قيل للفارسي ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل!

قيل لليوناني ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام واختيار الكلام!

www.abulhasanalinadwi.org

قيل للرومي ما البلاغة؟ قال حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الإطالة!

قيل للهندي ما البلاغة؟ قال: وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة!

وقال المفضل الضبي:

قلت لأعرابي ما البلاغة؟ قال: الإيجاز في غير عجز والإطناب في غير خطل!

وقيل للمفضل ما الإيجاز؟ قال: حذف الفضول، وتقريب البعيد!

ثم ذكر الجاحظ أسباب تأثر الناس بالكلام، ونقل كلام سهل ابن هارون، ويذكر أوصاف البلغاء، وآراء الناس في تأثير الكلام.

ويأتي بعد ذكر البيان والبلاغة، باب ذكر ناس من البلغاء والخطباء والأبنياء والفقهاء والأمراء المكثرين للكلام مع قلة الخطأ والزلل.

ذكر الجاحظ في هذا الباب أسماء وأحوال المكثرين في الكلام، منهم: زيد بن صوحان، إياس بن معاوية، ربيعة الرأي، عبيد الله بن محمد، محمد بن حفص. و منهم: الفضل بن سهل، ثم الحسن بن سهل، وعلي بن هشام، وقال: كانوا لا يسكتون. وذكر منهم ربيعة الرأي، وكان لا يكاد يسكت، قالوا: وتكلم يوماً فأكثر وأعجب بالذي كان منه فالتفت إلى أعرابي كان عنده فقال يا أعرابي! ما تعدون العي فيكم؟ قال: ما كنت فيه منذ اليوم! وممن كان يكثر الكلام جداً: إياس ابن معاوية، والفضل بن سهل، والحسن بن سهل، وعلي بن هشام، وزيد بن صوحان، وأبو واثلة.

وبعد ذكر المكثرين للكلام يبين الجاحظ مساوئ إكثار الكلام،

www.abulhasanalinadwi.org

فقال: قال عبد الله بن مسعود: حدث الناس ما حدجوك بأسماعهم ولحظوك بأبصارهم، فإذا رأيت منهم فترة فأمسك.

قال سفيان بن عيينة عن الزهري: إعادة الحديث أشد من نقل الصخر، وقال العتابي: كل من أفهمك حاجته من غير إعادة، ولا حبسة ولا استعانة (١)، فهو بليغ.

وقال عبد الله بن المقفع في كلام طويل عن البلاغة: "الإيجاز هو البلاغة".

التكرار في الكلام:

ذكر الجاحظ بعض الخطباء الذين أكثروا الكلام، و رددوه، فانتقد بعض الجلساء، فقال: أردده حتى يفهمه من لا يفهمه.

وأيد الجاحظ ترديد الكلام في مواضع و قال: ليس بعيب إذا كان له داع، التكرار ورد في القرآن، وتكرار القصص، وما فيه العبر محمود ومفيد.

فقال: إني لم أر أحداً يعيب ذلك، وما سمعنا بأحد من الخطباء، كان يرى إعادة بعض الألفاظ، وترداد المعاني عيباً.

أبلغ الخطباء جعفر بن يحي:

جعفر بن يحي أنطق الناس.

كان لا يحتبس، ولا يتوقف، ولا يتلجلج، ولا يتنحنح، ولا يستعصي عليه لفظ، ولا معنى.

و قيل لجعفر: ما البيان ؟ قال: أن يكون الاسم يحيط بمعناك، وأن يكون سليماً من التكلف، بعيداً عن الصنعة، بريئاً عن التعقيد، غنياً عن التأويل.

---

(١) الاستعانة: قوله يا هناه، يا هذا، اسمع، أليس كذلك.

www.abulhasanalinadwi.org

قول الأصمعي في البيان:

قال الأصمعي: البليغ من الكلام ما طبق الفصل، وأغناك عن المفسر، ويقولون في إصابة عين المعنى بالكلام الموجز: فلان يفل المحز، ويصيب المفصل.

ويذكر أمثلة من الشعر في الكلام المؤثر.

موقف الجاحظ من الكلام: الإيجاز أفضل:

الإيجاز في موضع الإيجاز، والإطناب في موضع الإطناب، إلا أن الإيجاز أفضل، قال جعفر بن يحي: إن استطعتم أن يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا ببيان الاستشهاد، وبالقرآن، والشعر في الخطب.

يقول الجاحظ: خير الكلام ما طابق الوضع والحال:

مطابقة الكلام للمستمعين، والحال، نقل الجاحظ كلام بشر ابن معتمر، قال: ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها، وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، و لكل حالة من ذلك مقاماً.

ويناقش الجاحظ قول العتابي: كل من أفهمك حاجته فهو بليغ، ويقول: ليس مجرد الإفهام بلاغة، فلا بد من شروط أخرى، يلتزم بها المتكلم، قال: من زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل، جعل الفصاحة واللكنة والخطأ والصواب سواء، وكيف يكون ذلك بياناً.

وإنما عني العتابي إفهامك العرب حاجتك على مجاري كلام العرب الفصحاء.

ذكر الجاحظ بعد ذلك ما قالوا في مديح اللسان، وذكر اللسان.

www.abulhasanalinadwi.org

متى يحسن الإطالة

فرق عبد الله بن المقفع بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد، وخطبة الصلح، وخطبة المواهب، حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه، فإنه لا خير في كلام لا يدل على معناك، ولا يشير إلى مغزاك، وإلى العمود الذي إليه قصدت، والغرض الذي إليه نزعت، فقيل له فإن ملّ المستمع الإطالة التي ذكرت أنها حق ذلك الموقف، قال إذا أعطيت كل مقام حقه وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام وأرضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو، فإنه لا يرضيهما شيء، وأما الجاهل فلست منه وليس منك، ورضا جميع الناس شيء لا تناله وقد كان يقال: "رضا الناس شيء لا ينال".

ويذكر الجاحظ ما يذم وما يمدح في الخطابة.

كما لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً، وساقطاً سوقياً، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريباً وحشياً، إلا أن يكون المتكلم بدوياً أعرابياً، فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوقي.

وأنا أقول: إنه ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا أنفع ولا آنق، ولا ألذ في الأسماع ولا أشد اتصالاً بالعقول السليمة، ولا أفتق للسان، ولا أجود تقويماً للبيان من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء، والعلماء البلغاء، وقد أصاب القوم في عامة وصفوا إلا أني أزعم أن سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعاني، وقد يحتاج إلى السخيف في بعض المواضع، وربما أمتع بأكثر من إمتاع الجزل الفخم من الألفاظ، والشريف الكريم من المعاني، كما أن النادرة

www.abulhasanalinadwi.org

الباردة جداً قد تكون أطيب من النادرة الحارة جداً، وإنما الكرب الذي يختم على القلوب(١)، ويأخذ بالأنفاس النادرة الفاترة التي لا هي حارة ولا باردة، وكذلك الشعر الوسط، والغناء الوسط، وإنما الشأن في الحار جداً والبارد جداً.

وكان محمد بن عباد بن كاسب يقول: والله لفلان أثقل من مغن وسط، وأبغض من ظريف وسط.

ومتى سمعت ـ حفظك الله ـ بنادرة من كلام الأعراب، فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها، ومخارج ألفاظها، فإنك إن غيرتها بأن تلحن في إعرابها، وأخرجتها مخارج كلام المولدين والبلديين، خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير، وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام، وملحة من ملح الحشوة والطغام فإياك وأن تستعمل فيها الإعراب أو تتخير لها لفظاً حسناً أو تجعل لها من فيك مخرجاً سرياً، فإن ذلك يفسد الإمتاع بها، ويخرجها من صورتها، ومن الذي أريدت له، ويذهب استطابتهم إياها واستملاحهم لها (٢).

ثم اعلم أن أقبح لحن أصحاب التقعير والتقعيب، والتشديق والتمطيط والجهورة (٣) والتفخيم، وأقبح من ذلك لحن الأعاريب النازلين على طرق السابلة وبقرب مجامع الأسواق.

ولأهل المدينة ألسن زلقة، وألفاظ حسنة، وعبارة جيدة، واللحن في عوامهم فاش، وعلى من لم ينظر في النحو منهم غالب.

واللحن من الجواري الظراف، والكواعب النواهد، ومن الشواب الملامح، ومن ذوات الخدور، الغرائر، أيسر، وربما استملح

---

(١) الختم على القلب: أن لا يفهم شيئاً ولا يخرج من شيء.

(٢) انظر هذا الرأي في الحيوان أيضاً.

(٣) الجهورة: مصدر جهور، رفع الصوت وأعلنه.

www.abulhasanalinadwi.org

الرجل ذلك منهن ما لم تكن الجارية صاحبة تكلف، ولكن إذا كان اللحن على سجية سكان البلد، وكما يستملحون اللثغاء إذا كانت حديثة السن، ومقدودة مجدولة فإذا أسنت واكتهلت تغير ذلك الاستملاح.

هل كل كلام مفهوم بليغ؟

يبين الجاحظ في هذا الباب أن كل كلام مفهوم ليس ببليغ، وإنما يجب أن يكون مطابقاً لكلام الفصحاء، ويخلو من اللحن، فقد يكون الكلام مفهوماً، ولكنه ملحون، وذكر أمثلة من الكلام المفهوم، ولكن فيه لحن، ويأتي بعد ذلك بيان صفة اللسان.

باب ذكر اللسان

قال أبو الحسن، قال الحسن: لسان العاقل من وراء قلبه، فإذا أراد الكلام فكّر، فإن كان له قال، وإن كان عليه سكت، وقلب الجاهل من وراء لسانه، فإن هم بالكلام تكلم به كان له أو عليه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يكون قوم يأكلون الدنيا بألسنتهم كما تلحس الأرض البقرة بلسانها.

www.abulhasanalinadwi.org

باب الصمت

ذكر الجاحظ في هذا الباب فضل الصمت وما ورد فيه من أحاديث وأقوال الحكماء، قال: كان أعرابي يجالس الشعبي فيطيل الصمت، فسأل عن طول صمته، فقال: "أسمع فأعلم وأسكت فأسلم". وقالوا: " لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب". وقالوا: " مقتل المرء بين لحييه وفكيه". وأخذ أبو بكر الصديق رضي الله عنه بطرف لسانه وقال: " هذا الذي أوردني الموارد". وقالوا: " ليس شيء أحق بطول سجن من اللسان". وقالوا: " اللسان سبع عقور". وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم". وقال صلى الله عليه وسلم: " ما أعطي العبد شراً من طلاقة اللسان" .

ثم ذكر الجاحظ الأشعار في فضل الحلم، وقلة الكلام، وإمساك اللسان، وبعد ذكر الروايات في فضل الصمت يقول:

"سمعنا رواية القوم واحتجاجهم، وأنا أوصيك أن لا تدع التماس البيان والتبيين، إن ظننت أن لك فيهما طبيعة، وأنهما يناسبانك بعض المناسبة، ويشاكلانك بعض المشاكلة، ولا تهمل طبيعتك فيستولي عليك الإهمال على قوة القريحة، ويستبد بها سوء العادة، وإن كنت ذا بيان وأحسست من نفسك بالنفوذ في الخطابة والبلاغة، وبقوة المنة يوم الحفل، فلا تقصر في التماس أعلاها سورة، وأرفعها في البيان منزلة".

www.abulhasanalinadwi.org

وبعد هذا الاستدراك وحمل الروايات الواردة في فضل الصمت محمولة في غير محاملها، يقول: لقد ذكر الله تعالى داود النبي صلوات الله عليه وسلامه، فقال: ﴿واذكر في الكتاب عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب ... إلى قوله ... فصل الخطاب﴾ وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم شعيباً النبي عليه السلام فقال: كان شعيب خطيب الأنبياء، وذلك عند بعض ما حكاه الله عنه في كتابه وجلاّه لأسماع عباده، فكيف تهاب منزلة الخطباء، وداود عليه السلام سلفك، وشعيب إمامك، مع ما تلونا عليك في صدر هذا الكتاب من القرآن الحكيم، والآي الكريم، وهذه خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم مدونة محفوظة ومخلدة ومشهورة، وخطب أبي بكر وعمر، وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم شعراء ينافحون عنه، وعن أصحابه بأمره، وكان ثابت بن قيس بن الشماس الأنصاري خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يدفع ذلك أحد.

يقول: إنما وقع النهي على كل شيء جاوز المقدار، ووقع اسم العي على كل شيء قصّر عن المقدار، فالعي مذموم والخطل مذموم، ودين الله تعالى بين المقصر والغالي.

وينصح الجاحظ الكتاب والأدباء والشعراء أن لا يرسلوا كلامهم إرسالاً، بل يفكروا ويدبروا، ويهذبوا، وينقحوا كلامهم، ويأخذوا رأي من هو أعلم منهم قبل أن يثقوا بكلامهم، ويقول: إن كل شخص له طبيعة، رجل له طبيعة في الحساب وليس له طبيعة في الكلام، ورجل له طبيعة في التجارة وليس له طبيعة في الفلاحة، وكذلك رجل له طبع في صناعة اللحون، ولا يكون له طبع في غيرها، ويكون له طبع في تأليف الرسائل والخطب والأسجاع، ولا يكون له طبع في قرض بيت شعر، ومثل هذا كثير جداً، وكان عبد الحميد الأكبر وابن المقفع مع بلاغة

www.abulhasanalinadwi.org

أقلامهما وألسنتهما لا يستطيعان من الشعر إلا ما يذكر مثله، وقيل لابن المقفع في ذلك فقال: " الذي أرضاه لا يجيئني، والذي يجيئني لا أرضاه". وهذا الفرزدق وكان مشتهراً بالنساء وكان زيرغوان، وهو في ذلك ليس له بيت واحد في النسيب مذكور، وجرير عفيف لم يعشق امرأة وهو مع ذلك أغزل الناس شعراً.

باب من القول في القوافي الظاهرة واللفظ الموجز

ذكر الجاحظ في هذا الباب جملاً مأثورة، وشعراً جميلاً في الخطباء والبلغاء كقول الشاعر:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

لا يعجبنك من خطيب قوله ... حتى يكون مع اللسان أصيلاً

وذكر وصف الشعر الجميل بالحلل والديباج والوشي، ثم يحدد الكلام الجميل، وأقوال الناس في الكلام الموزون، ومدح الخطيب واللسن، ثم يورد خطباً من خطب السلف ومواعظ النساك، وحكم الحكماء، ثم يعود إلى المفاضلة بين الصمت والكلام الحسن، فيقول:

"إنما حثوا على الصمت لأن العامة إلى معرفة خطأ القول أسرع منهم إلى معرفة خطأ الصمت".

ويقول: ليس الصمت كله أفضل من الكلام كله، ولا الكلام كله أفضل من السكوت كله، بل إن عامة الكلام أفضل من عامة السكوت، ثم يسترسل في فضل الكلام والبيان، ويأتي بأدلة وروايات للسلف في فضل البيان، ويورد من الشعر، قال الشاعر:

لها بشر مثل الحرير ومنطق ... رخيم الحواشي لا هراء و لانزر

وقال الآخر:

www.abulhasanalinadwi.org

حديث كطعم الشهد حلو صدوره وأعجازه الخطبان دون المحارم

وقال بشار:

وكأن رفض حديثها قطع الرياض كسين زهرا

وكأن تحت لسانها هاروت ينفث فيه سحرا

باب الأسجاع في الكلام

ذكر فيه الجاحظ نماذج من السجع الجميل ويقول: ورد النهي عن السجع في أول الإسلام، ثم زال بزوال العلة، وكان الخطباء يتكلمون عند الخلفاء الراشدين؛ فتكون في تلك الخطب أسجاع كثيرة، فلم ينهوا منهم أحداً.

وبعد بيان الأسجاع بدأ الجاحظ باب الخطب، وافتتحه بخطبة من خطب النبي صلى الله عليه وسلم، وبعد ذكر الخطباء ونماذج خطبهم يأتي ذكر النساك والزهاد من أهل البيان والقصاص، وبيان مزايا العرب، وقصص للحجاج، وزياد وعبد الملك، وهي موضوعات دخيلة كعادة الجاحظ التي أصبحت سمة لأسلوبه.

ويعنى ذلك أن الجاحظ بدأ كتابه ببيان عيوب اللسان، ثم تناول جمال التعبير؛ سواء كان ذلك في خطبة أو رسالة، أم كان في قصة أو سجع أو شعر، وكلام المكثرين والموجزين، ووصف الكلام المؤثر الجميل، ثم انتقل إلى السجع في الكلام، ونماذج السجع، ثم ذكر خطباً مختارة، منها خطبة النبي صلى الله عليه وسلم: أيها الناس! إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وخطب عمار بن ياسر، وعمر بن الخطاب، وسليمان بن عبد الملك، ونماذج من كلام البلغاء، ثم أسماء الخطباء والبلغاء الأبيناء، وقبائلهم وأنسابهم، كالفضل بن عيسى الرقاصي، الذي يعتبره الجاحظ من أخطب الناس، وقاصّاً مجيداً،

www.abulhasanalinadwi.org

وذكر نماذج من كلامه كقوله "سل الأرض، فقل من شق أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك، فإن لم تجبك حواراً، أجابتك اعتباراً". وكان عبد الصمد بن الفضل أغزر من أبيه، وأعجب وأبين وأخطب، وذكر خطبة قس بن ساعدة الأيادي المعروفة، وذكر أهل الدهاء، وأهل اللسن، والجواب العجيب، كهند بنت الخُس الزرقاء، وجمعة بنت حابس، وخالد بن سلمة المخزومي، والحجاج بن عمير، وسعيد بن العاصي، وعمرو بن سعيد، وسهيل بن عمرو الأعلم.

وانتقل من الخطباء إلى النسابين، فقال: أبو بكر رضي الله عنه أنسب هذه الأمة، ثم عمر، ثم جبير بن مطعم، ثم سعيد بن المسيب، ثم محمد بن سعيد، وبعد ذكر النسابين عاد إلى الخطباء، وذكر يزيد يحيى، وزياد بن ظبيان، وعبيد الله، وعثمان بن عروة، وخالد بن يزيد، وغيرهم من خطباء، وفي آخر الكتاب الكهان، والنساك، والزهاد من أهل البيان، ثم ذكر الأمم التي فيها الأخلاق والآداب، ثم مزايا العرب.

www.abulhasanalinadwi.org

الجزء الثاني من البيان والتبيين

أراد الجاحظ أن يفتتح الجزء الثاني من كتابه بالرد على الشعوبية في طعنهم على خطباء العرب، لكنه آثر قبل الرد على الشعوبية أن يبدأ كتابه بكلام رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم، و السلف المتقدمين، والجلة من التابعين، الذين كانوا مصابيح الظلام، وقادة هذا الأنام، وملح الأرض، وحلى الدنيا، والنجوم التي لا يضل معها الساري، والمنار الذي إليه يرجع الباغي.

وقال إنه سيتناول هذا الموضوع بعد الفراغ مما هو أولى وأوجب، وقال في بيان نهج الخطباء من السلف، إن الخبطة التي لا يبتدئ صاحبها بالتحميد وكلامه بالتمجيد، هي الخطبة البتراء، والخطبة التي لم توشح بالقرآن، وتزين بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، خطبة شوهاء، وذكر بعد ذلك أمثلة من الخطب من القسمين.

وقال: إن جميع خطب العرب من أهل الوبر والمدر، والبدو والحضر على ضربين: طوال، وقصار، ولكل ذلك مكان يليق به، وموضع يحسن فيه، ومن الطوال ما يكون مستوياً في الجودة، ومتشاكلاً في استواء الصنعة، ومنها ذوات الفقر الحسان، والنتف الجياد، وليس فيها بعد ذلك شيء يستحق الحفظ، وإنما حظه التخليد في بطون الصحف، ووجدنا عدد القصار أكثر، ورواة العلم إلى حفظها أسرع، وقد أعطينا كل شكل من ذلك قسطه من الاختيار، ووفيناه حظه من التمييز.

www.abulhasanalinadwi.org

هذا ما سوى ما رسمنا في كتابنا هذا من مقطعات كلام العرب الفصحاء، وجمل كلام الأعراب الخلص، وأهل اللسن من رجالات قريش والعرب، وأهل الخطابة من أهل الحجاز، ونتف من كلام النساك، ومواعظ من كلام الزهاد، مع قلة كلامهم، وشدة توقيهم، و رُبّ قليل يُغني عن كثير، بل رُبّ كلمة تغني عن خطبة، وتنوب عن رسالة.

الخطبة المؤثرة

متى شاكل ـ أبقاك الله ـ اللفظ معناه، وأعرب عن فحواه، وكان لتلك الحال وفقاً، ولذلك القدر لفقاً، وخرج من سماجة الاستكراه وسلم من فساد التكلف، كان قمينا بحسن الموقع، وبانتفاع المستمع، وأجدر أن يمنع جانبه من تناول الطاعنين، ويحمي عرضه من اعتراض العيابين، ولا تزال القلوب به معمورة، والصدور مأهولة.

ومتى كان اللفظ أيضاً كريماً في نفسه، متخيراً في جنسه، وكان سليماً من الفضول، بريئاً من التعقيد، حبب إلى النفوس، واتصل بالأذهان، والتحم بالعقول، وهشت إليه الأسماع، وارتاحت له القلوب، وخف على ألسن الرواة، وشاع في الآفاق ذكره، وعظم في الناس خطره، وصار ذلك مادة للعالم الرئيس ورياضة للمتعلم الريض.

ويقول: لم أجد في خطب السلف الطيب والأعراب الأقحاح ألفاظاً مسخوطة، ولا معاني مدخولة، ولا طبعاً رديئاً، ولا قولاً مستكرهاً، وأكثر ما نجد ذلك في خطب المولدين، وخطب البلديين المتكلفين، ومن أهل الصنعة المتأدبين.

ثم ينتقل إلى شعر السلف، فيقول: من شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريتاً، وزمناً طويلاً، يردد فيها نظره،

www.abulhasanalinadwi.org

ويقلب فيها رأيه، اتهاماً لعقله، وتتبعاً على نفسه، فيجعل عقله زماماً على رأيه، و رأيه عِياراً على شعره، إشفاقاً على أدبه، وإحرازاً لما خوّله الله من نعمته، وكانوا يسمون تلك القصائد: الحوليات، والمقلدات، والمنقحات، والمحكمات ليصير قائلها فحلاً خنذيذاً وشاعراً مفلقاً.

وفي بيوت الشعر الأمثال والأوابد، ومنها الشواهد، ومنها الشوارد، ويقول: الشعراء عندهم أربع طبقات: أولهم الفحل الخنذيذ، والخنذيذ هو التام.

ودون الفحل الخنذيذ الشاعر المفلق، ودون ذلك الشاعر فقط والرابع الشعرور، وقال الأول:

يا رابع الشعراء كيف هجوتني وزعمت أني مفحم لا أنطق

وسمعت بعض العلماء يقول: طبقات الشعراء ثلاثة، شاعر وشويعر، وشعرور، وقال العبدي:

ألا تنهى سراة بني حميس شويعرها فُويلية الأفاعي

وبعد ذكر طائفة من الشعراء المجيدين، قال الجاحظ سنذكر من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يسبقه إليه عربي، ولم يشاركه فيه أعجمي، ولم يُدَّع لأحد، ولا ادعاء أحد، وما صار مستعملاً ومثلاً سائراً، كقوله صلى الله عليه وسلم: يا خيل الله اركبي، مات حتف أنفه، لا ينتطح فيه عنزان، الآن حمي الوطيس، كل الصيد في جوف الفرا، هدنة على دخن، جماعة على أقذاء، لا يلسع المؤمن من جحر مرتين.

فمن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر الأنصار قوله: "أما والله ما علمتكم إلا لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع" وقال صلى الله عليه وسلم: "اليد العليا خير من اليد السفلى" وقال

www.abulhasanalinadwi.org

صلى الله عليه وسلم: " ابدأ بمن تعول" وقال: " خير المال عين ساهرة لعين نائمة".

وأنا ذاكر بعد هذا فناً آخر من كلامه صلى الله عليه وسلم، وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزه عن التكلف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وما أنا من المتكلفين﴾ واستطرد الجاحظ في وصف كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال بعد وصف محاسن كلامه: لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أقصد لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولاأجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى، من كلامه صلى الله عليه وسلم كثيراً.

وقال محمد بن سلام: قال يونس بن حبيب: ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويقول: جمعت لك في هذا الكتاب جملاً التقطناها من أفواه أصحاب الأخبار.

وانتقل الجاحظ بعد ذكر نبذة من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم السائرة إلى وصفه فيقول:

"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل على الأرض، ويجلس على الأرض، ويلبس العباء، ويجالس المساكين، ويمشي في الأسواق، ويتوسد يده الشريفة، ويقص من نفسه، ويلطع أصابعه، ولا يأكل متكئاً، ولم ير قط ضاحكاً ملء فمه، وكان يقول: إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد، وأشرب كما يشرب العبد، ولو دُعِيت إلى ذراع أجبت، ولو أهدى إلى كراع لقبلت، لم يأكل قط وحده، ولا ضرب أحداً بيده، إلا في سبيل ربه، ولو لم يكن من كرم عفوه ورجاحة حلمه إلا ما كان منه يوم فتح مكة، لقد كان ذلك من أكمل

www.abulhasanalinadwi.org

الكمال، وذلك حين دخل مكة عنوة، وقد قتلوا أعمامه وبني أعمامه، وأولياءه، وأنصاره بعد أن حصروه في الشعاب، وعذبوا أصحابه بأنواع العذاب، وجرحوا في بدنه، وآذوه في نفسه، وسفهوا عليه، وأجمعوا على كيده، فلما دخلها بغير حمدهم، وظهر عليهم على صغر منهم قال: أقول كما قال أخي يوسف: ﴿قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[يوسف: ٩٢].

وافتتح الجاحظ خطب الرسول صلى الله عليه وسلم بخطبة حجة الوداع، وبعد خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، ذكر من كلام أبي بكر والخلفاء الآخرين، وبعد عرض طائفة من خطب السلف يقول الجاحظ: قد ذكرنا من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبه صدراً، وذكرنا من خطب السلف رحمهم الله جملاً، وسنذكر من مقطعات الكلام، وتجارب البلغاء، ومواعظ النساك، ونقصد من ذلك إلى القصار دون الطوال، ثم نذكر الخطب المنسوبة إلى أهلها إن شاء الله.

وقال أكثم بن صيفي: الكرم حسن الفطنة، وحسن التغافل، واللوم سوء الفطنة، وسوء التغافل.

وقال: تباعدوا في الديار، تقاربوا في المودة.

قال الأحنف بن قيس: أسرع الناس إلى الفتنة أقلهم حياء من الفرار.

قال علي بن طالب رضي الله عنه: قيمة كل إمرئ ما يحسن.

وقف رجل على عامر الشعبي فلم يدع قبيحاً إلا رماه به، فقال له عامر: إن كنت كاذباً فغفر الله لك، وإن كنت صادقاً فغفر الله لي.

ومن الحكم: التوفيق خير قائد، وحسن الخلق خير قرين، والوحدة خير من جليس السوء.

قال عمرو بن العاص: البطنة تذهب الفطنة.

www.abulhasanalinadwi.org

باب مزدوج الكلام

قال النبي صلى الله عليه وسلم في معاوية: "اللهم علمه الكتاب والحساب، وقِهِ العذاب".

بعد نماذج مزدوج الكلام يذكر الجاحظ الخطب المسندة إلى أهلها، ومن هذه الخطب خطبة عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - التي يقول فيها:

"يا أيها الناس! إنكم لم تخلقوا عبثاً، ولم تتركوا سُدىً، وإن لكم معاداً يحكم الله بينكم فيه، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء".

ثم ذكر خطبة بدون سند، وقال: ذهب عني إسنادها.

وجاء في هذه الخطبة: "فإنك ناشيء فتنة، وقائد ضلالة، قد طال جثومها، واشتدت غمومها".

ثم ذكر خطبة أبي حمزة الخارجي بدون سند.

ثم ذكر خطبة قطري بن الفجاءة.

خطبة محمد بن سليمان.

خطبة عبيد الله بن زياد.

خطبة معاوية رحمه الله.

خطبة قتيبة بن مسلم الباهلي

وخطب الحجاج وزياد وغيرهما.

باب من اللغز في الجواب

كان الحطيئة يرعى غنماً له، وفي يده عصاً، فمرّ به رجل فقال: يا راعي الغنم ما عندك؟ قال: عجراء من سلم(١)، يعني

(١) العجراء: كثير العقد، والسلم: اسم شجر

www.abulhasanalinadwi.org

عصاه، قال: إني ضيف، فقال الحطيئة: للضيفان أعددتها.

باب في صفة الرائد للغيث وفي نعته للأرض

وصف رائد أرضاً جدبة فقال: "اغبرت جادتها، ودُرّع مرتعها، وقضم شجرها، ورقت كرِشها، وخور عظمها، والتقى سرحاها، وتميز أهلها، ودخل قلوبهم الوهل، وأموالهم الهزل".

وشرح الجاحظ الألفاظ الغريبة، وليس من عادته أن يشرح الألفاظ الغريبة.

الجادة: الطريق إلى الماء.

التقي سرحاها: إذا أكل كل سارح ما يليه التقيا عند الماء، وإذا لم يكن للجمال مرعى إلا الشجر وحده رقت أكراشه، وقوله تميز أهلها، تفرقوا في طلب الكلاء، ومرتع مدرع، إذا كان بعيداً من الماء، ومرتع قاصر، إذا كان قريباً من الماء، ويقولون: ماء مطلب وماء مطنب: إذا ألجاهم إلى طلبه من بُعده.

باب أن يقول كل إنسان على قدر خلقه وطبعه

قال قتيبة بن مسلم لحصين بن المنذر: "ما السرور؟قال: امرأة حسناء، ودار قوراء، وفرس مرتبط بالفناء".

وقيل لضرار بن الحصين: "ما السرور؟ قال: لواء منشور، وجلوس على السرير، والسلام عليك أيها الأمير".

وقيل لعبد الملك بن صالح: " ما السرور ؟ قال:

كل الكرامة نلتها إلا التحية بالسلام

وقيل لمحمد بن عمران: ما المروءة؟ قال: أن لا تعمل في السر شيئاً تستحي منه في العلانية.

وقيل للأحنف: ما المروءة؟ قال العفة والحرفة.

www.abulhasanalinadwi.org

أبيات تصلح للرواية والمذاكرة

قال سويد المرائد الحارثي

بني عمنا لا تذكروا الشعر بعد ما دفنتم بصحراء الغميم القوافيا

وفي هذا الباب ذكر الجاحظ أبياتاً مختارة، ومنها قول أبي تمام:

وطول مقام المرء في الحي مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد

فإني رأيت الشمس زيدت محبة إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

وقال آخر:

هو الشمس إلا أن للشمس غيبة وهذا الفتى الجرمى ليس يغيب

يروح ويغدو ما يفتر ساعة وإن قيل ناء فهو منك قريب

ثم عاد الجاحظ إلى الأقوال المأثورة.

قال عمرو لمعاوية: من أصبر الناس؟ قال: من كان رأيه راداً لهواه، وهذا الباب من أطول وأهم أبواب الكتاب، يليه باب اللحن ويبدأ بقول عمارة بن عمير: كان أبو معمر يحدثنا فيلحن، يتبع ما سمع، أوفد عبد الله بن زياد إلى معاوية، فكتب إليه معاوية: إن ابنك كما وصفت، ولكن قوم من لسانه"، وكانت في عبيد الله لكنة لأنه نشأ بالأساورة مع أمه"مرجانة" والأساورة من العجم.

وذكر الجاحظ في هذا الباب أمثلة للحن العرب الذين نشأوا بين العجم.

باب اللحانين البلغاء

باب النوكي

باب العي

باب خطأ العلماء

باب الكلام المحذوف

www.abulhasanalinadwi.org

قال المهاجرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الأنصار قد فضلونا بأنهم آووا ونصروا، وفعلوا وفعلوا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: أتعرفون ذلك لهم؟ قالوا: نعم قال: "فإن ذاك" يريد أن ذاك شكر ومكافأة.

كلّم رجل من قيس عمر بن عبد العزيز في حاجة، وجعل يمت بقرابة، فقال عمر: "فإن ذاك" ثم ذكر حاجته فقال: "لعل ذاك" أي إن ذلك كما قلت: ولعل حاجتك تقضى.

وذكر الجاحظ في هذا الباب الأقوال المأثورة الموجزة التي تحمل معاني كثيرة كما قال عمر بن الخطاب: "فرقوا بين المنايا، واجعلوا الرأس رأسين" "املكوا العجين فإنه أحد الريعين" "العمائم تيجان العرب"، "نعم المستند الاحتباء".

خطبة الحجاج

قال فيها الحجاج:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

أما والله إني لأحتمل الشر بحِمله، و أحذوه بنعله، وأجزيه بمثله، وإني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها، وإني لأنظر إلى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى.

ثم ذكر رسالة الحجاج إلى قطريّ بن الفجاءة، ورد قطريّ على الرسالة، ثم يعود الجاحظ إلى الأقوال المأثورة الموجزة.

باب من الشعر فيه تشبيه الشيء بالشيء

وبعد بضعة أبيات يتحول إلى الجُمل البليغة الموجزة والنوادر، ثم نوادر الأعراب.

الشيب نذير الآخرة.

www.abulhasanalinadwi.org

الشيب خطام المنية.

الشيب توأم الموت

شيب الشعر موت الشعر، وموت الشعر علة موت البشر.

ثم انتقل إلى الحكم بعد ذكر كلام بعض المتكلمين من الخطباء، يقال: أول العلم الصمت، والثاني الاستماع، الثالث الحفظ، الرابع: العمل به، والخامس: نشره.

وعاد الجاحظ إلى أحاديث النوكى، ثم خطأ العلماء، وباب البله الذي يعتري من قبل العبادة وترك التعرض للتجارب.

قال أيوب السختياني: "في أصحابي من أرجو دعوته ولا أقبل شهادته" وفي هذا الباب أورد أبياتاً كثيرة من الشعر كقول الشاعر:

وعاجز الرأي مضياع لفرصته حتى إذا فات أمر عاتب

وقول شاعر:

إذا ما الشيخ عوتب زاد شراً ويعتب بعد صبوته الوليد

وينتقل الجاحظ إلى شعرالحكمة، كقول الشاعر:

لا خير في وصل إذا لم يكن له على طول مرّ الحادثات بقاء

وينتهي هذا الجزء بقول سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري:

وإن امرأً يمسي ويصبح سالماً من الناس إلا ما جنى لسعيد

ونسب هذا البيت إلى حسان بن ثابت الأنصاري في ديوانه، وقال حسان: قلت شعراً لم أقل مثله، وأنشد هذا البيت.

www.abulhasanalinadwi.org

الرد على الشعوبية

ذكر الجاحظ في الجزء الثالث فضائل العرب ومزاياهم القومية، وخاصة طلاقتهم وارتجالهم في الكلام وفصاحتهم وبطولتهم.

ومن الأبواب ما يلي:

- المقارنة بين العرب والفرس في حالات الحرب.
- عادات العرب في ركوب الخيل.
- رماح العرب.
- اختصاص العرب والفرس بالخطابة دون الهند واليونان.
- وصف العرب بالبداهة والارتجال واتصافهم بأصناف البلاغة.
- بحث الجاحظ موضوع استعمال العصا بتفصيل، لأن الفرس عابوا العرب ممن أخذ العصا.
- سيماء فرسان العرب.
- العمائم والقلانس، والقناع.

كتاب الزهد

أخبار متفرقة: يكاد موضوع الدفاع عن العرب وخصائصهم البيانية والثقافية، موضوع الجزء الثالث الرئيسي.

www.abulhasanalinadwi.org

مصادر الأدب – ٢

أدب الكاتب لابن قتيبة

www.abulhasanalinadwi.org

أدب الكاتب

كتاب صنفه أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروزي، الدينوري للوزير أبي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وزير المتوكل، هو كتاب تأدب به الكثيرون، وعني به الأدباء، وشرحه الشارحون وعلقوا عليه، وقد قال عنه ابن خلدون في مقدمته:

"سمعنا من شيوخينا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن - الأدب - وأركانه أربعة دواوين، وهي أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي، ما سوى هذه الأربعة فتوابع لها وفروع عنها"(١).

ترجمة ابن قتيبة (٢١٣هـ-٢٧٠هـ)

هو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، يقال له المروزي لأن أباه كان من مرو، ويقال له الكوفي لأنه ولد بها، ويقال له الدينوري لأنه ولي قضاءها فأقام بها مدة.

ولد في ٢١٣ هـ بالكوفة، ويقال ببغداد، وبها نشأ، ويرى بعض المؤرخين أنه عربي النسب، قرأ على أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن راهويه، وأبي حاتم السجستاني، وأبي إسحاق إبراهيم بن سفيان الزيادي، وأبي سعيد أحمد بن خالد الضرير، وأبي الفضل العباس، وعبد الرحمن بن عبد الله بن أخي الأصمعي.

قال الخطيب في تاريخ بغداد: "كان ثقة ديّناً فاضلاً".

---

(١) المقدمة: ٥٥١.

www.abulhasanalinadwi.org

قال ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان: "كان لغوياً، كثير التأليف، عالماً بالتصنيف، صدوقاً من أهل السنة".

وقال ابن حزم: "كان ثقة في دينه وعلمه".

وقال ابن النديم: "كان صادقاً فيما يرويه، عالماً باللغة والنحو، وكتبه مرغوب فيها".

وقال ابن خلكان: "كان فاضلاً ثقة، وتصانيفه كلها مقبولة".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق، المنتصرين لمذاهب السنة المشهورة".

وقال فيه صاحب كتاب" التحديث بمناقب أهل الحديث" :"وهو أحد أعلام الأئمة والعلماء والفضلاء، وأجودهم تصنيفاً، وأحسنهم ترصيفاً، له زهاء ثلاث مائة مصنف.

وكان أهل العرب يقولون: "من استجاز الوقيعة في ابن قتيبة يتهم بالزندقة، ويقولون: كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه لا خير فيه".

وقال أبو البركات ابن الأنباري: "كان فاضلاً في اللغة والنحو والشرع، متفنناً في العلوم، وله المصنفات المذكورة، والمؤلفات المشهورة".

وفي بغية الوعاة: "كان رأساً في العربية واللغة والأخبار، وأيام الناس".

وقال ابن تيمية: "أهل لأهل السنة كالجاحظ للمعتزلة، فإنه خطيب السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة.

وقال بروكلمان: "يعتبر ابن قتيبة في كتب الأدب إمام مدرسة بغداد النحوية التي خلطت بين مذهبي البصرة والكوفة، والواقع أن مصنفات ابن قتيبة كمصنفات أمثال أبي حنيفة الدينوري والجاحظ، تناولت جميع معارف عصره، وقد حاول أن يحصل اللغة والشعر وخاصة ما جمعه منها نحويو الكوفة. وكذلك الأخبار في متناول الذين يعملون في الحياة العامة، ويرغبون في التعليم".

www.abulhasanalinadwi.org

قال ابن خلكان: " الناس يقولون: إن أكثر أهل العلم يقولون: إن أدب الكاتب خطبة بلاكتاب، وإصلاح المنطق لابن السكيت كتاب بلا خطبة، وهذا فيه نوع تعصب عليه، فإن أدب الكاتب قد حوي من كل شيء وهو مفتن، وما أظن حملهم على ذلك إلاأن الخطبة طويلة، و "الإصلاح" بغير خطبة، وقيل إنه صنف هذا الكتاب لأبي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المعتمد على الله ابن المتوكل على الله الخليفة العباسي، قد شرح هذا الكتاب أبو محمد بن السيد البطليوسي، نبه على مواضع الغلط منه، وسماه الاقتضاب في شرح أدب الكتاب".

ويرى أحمد أمين أن ابن قتيبة فارسي، تربى في بغداد، وكان يكره الجاحظ، وقد اتهم بأنه يذكر حجج النصارى على المسلمين بأقوى مما يذكر الرد عليهم، وأن كتبه ملئت بالمضاحيك والعبث، ويريد بذلك استمالة الأحداث، وشراب النبيذ، وأنه يستهزئ بالحديث، وأنه كذاب يضع الأحاديث، وينصر الباطل، ويصف أحمد أمين ابن قتيبة بأنه يمثل امتزاج الثقافات، فهو يأخذ من جميع المصادر، كما قال في عيون الأخبار، إنه تلقط ما فيه عمن فوقه في السن والمعرفة، وعن جلسائه وإخوانه، ومن كتب الأعاجم وسيرهم، وبلاغات الكتاب في فصول كتبهم، ولم يستنكف أن يأخذ عن الحديث سناً لحداثته، ولا عن الصغير قدراً لخساسته، ولا عن الأمة اللكعاء لجهلها فضلاً عن غيرها، ولم يتحرج أن يأخذ العلم عن غير مسلم.

مذهب ابن قتيبة

ومذهب ابن قتيبة هو مذهب الجمع والوسطية، إلا أنه يميل إلى الجد والتدين، والتحفظ، وهو واحد من الكتاب الثلاثة المجيدين الذين جمعوا العلم من مختلف المصادر، وألفوا في موضوعات متنوعة،

www.abulhasanalinadwi.org

الجاحظ وهو، وأبو حنيفة الدينوري، ومن مزايا ابن قتيبة الترتيب، وفي ذلك يفوق الجاحظ والمبرد، فقد قال في مقدمة عيون الأخبار ما يدل على منهجه في التأليف:

"وقرنت الباب بشكله، والخبر بمثله، والكلمة بأختها، ليسهل على المتعلم علمها وعلى الدارس حفظها".

وقال بروكلمان: "كان هدفه من أكثر مصنفاته: أن يقدم إلى طبقة الكتاب وأصحاب الدواوين ما يسدّ حاجتها من الأدب والتاريخ، ولكنه تناول في اثنين من كتبه مسائل الخلاف التي كانت سائدة في عصره، فراح يدافع عن القرآن والحديث تجاه مطاعن الفلاسفة وأهل الشك في علماء الكلام".

ويعد ابن قتيبة أكبر مؤلف ظهر في العصر بعد الجاحظ، وهو سني محافظ، ولذلك يكون من المنطق أن تتضح محافظته في آرائه النقدية، إلا أنه كان معتدلاً يوازن بين النزعة المحافظة لعصره والنزعات المجددة المعتدلة عند الجاحظ وأمثاله من المعتزلة.

ويدل على مذهبه قوله في الشعر والشعراء: ليس لمتأخر الشعراء أن يخرج من مذهب المتقدمين، فيقف على منزل عامر، أو يبكي عند مشيد البنيان، لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الدائر والرسم العافي، أو يرحل على حمار أو بغل ويصفهما، لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير، أو يرد على المياه العذاب الجواري، لأن المتقدمين وردوا الأواجن والطوامي، أو يقطع إلى الممدوح منابت النرجس، والآس والورد، لأن المتقدمين جروا على ذكر منابت الشيح والحنوة والعرارة. (١)

---

(١) الشعر والشعراء ص: ١٩.

www.abulhasanalinadwi.org

لكنه في الوقت نفسه يقول: ليس لمتقدم فضل لكونه متقدماً ولا لمتأخر احتقار لتأخيره، فإن الله لم يقصر البلاغة على زمن دون زمن، ولا خصّ قوماً دون قوم.

وكان ابن قتيبة عدواً للشعوبية، وقد ألف كتباً في الرد على الشعوبية، لكنه اقتبس في كتبه مختارات من الآداب الفارسية والهندية واليونانية، وكتابه عيون الأخيار يمثل هذا المزيج الثقافي.

وحاول ابن قتيبة بهذا المزج تخفيف حدة الشعوبية، فقد صبّ مآثر الآداب المختلفة في قالب اللغة العربية، فلم يعد الفرس يفتخرون بكرمهم ولا اليونانيون يفخرون بأدبهم.

أسلوب ابن قتيبة

يمتاز أسلوبه بوضوح واصطفاء ألفاظ والمزاوجة بينها على طريقة الجاحظ أحياناً، وأحياناً يسترسل دون محاولة الازدواج، لكن مع العناية باختيار الكلمات والملائمة بينها بحيث لا تجد فيها أي نشوز ولا أي اضطراب، أو انحراف، كانت لغته مرنة، لا يتأبى عليه أي لفظ، ولا تستعصي عليه أي كلمة، أسلوب متناسق مستوٍ، ويبدو كتابه "عيون الأخبار" كأنه مصبوب في قوالب متماثلة، قوالب تستريح لها الآذان، وتجد فيها القلوب والعقول متاعاً لا ينفد، ولا يستطرد ابن قتيبة كاستطراد الجاحظ الذي قد يكون مملاً، بل ينسق كلامه تنسيقاً، ويفوق الجاحظ في هذا التنسيق.

مؤلفاته

اشتهر من مؤلفاته:

"معاني الشعر الكبير"، "عيون الشعر"، "الشعر والشعراء"، "أدب الكاتب"، "إعراب القرآن" "مشكل القرآن" و"غريب القرآن"،

www.abulhasanalinadwi.org

"الرد على القائل بخلق القرآن" ، "غريب الحديث" ، "المعارف" هو كتاب في التاريخ ، "الأشربة" ، الإمامة والسياسة" ، و"تاريخ الخلفاء"

- يعتقد أنه منحول عليه ، "عيون الأخبار" ، كتاب الميسر والقداح" ، و"كتاب الاختلاف في الرد على الجهمية والمشبهة" و"كتاب في الفقه" و"كتاب في دلائل النبوة" وكتب كثيرة سقطت من يد الزمان.

سبب تأليف الكتاب

يقول في مقدمة كتابه : فإني رأيت أكثر أهل زماننا عن سبيل الأدب ناكبين ، ومن اسمه متطيرين ، ولأهله كارهين ، أما الناشئ منهم فراغب عن التعليم ، والشادي تارك للازدياد ، والمتأدب في عنفوان الشباب ناس أو متناس ، ليدخل في جملة المجدودين ، ويخرج عن جملة المحدودين.

ثم يقول : أبعد غايات كاتبنا في كتابته أن يكون حسن الخط ، قويم الحروف ، وأعلى منازل أديبنا أن يقول من الشعر أبياتاً في مدح قينة أو وصف كأس ، وأرفع درجات لطيفنا أن يطالع شيئاً من تقويم الكواكب ، وينظر في شيء من القضاء وحد المنطق ، ثم يعترض على كتاب الله بالطعن وهو لايعرف معناه ، وعلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب ، وهولا يدري من نقله.

ثم ذكر ابن قتيبة أمثلة من جهل الناس في استعمال الألفاظ المتقاربة ، وقال : فلما رأيت هذا الشأن كل يوم إلى نقصان ، وخشيت أن يذهب رسمه ويعفو أثره ، جعلت له حظاً من عنايتي وجزءاً من تأليفي فعملت لمغفل التأديب كتباً خفافاً في المعرفة ، وفي تقويم اللسان واليد.

يقول : نحن نستحب لمن قبل عنا ، وائتم بكتبنا أن يؤدب نفسه قبل أن يؤدب لسانه ، ويهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه ، ويصون

www.abulhasanalinadwi.org

مروءته عن دناءة الغيبة، وصناعته عن شين الكذب، ويجانب - قبل مجانبته اللحن، وخطل القول - شنيع الكلام ورفث المزح، وكان رسول الله صلى الله - ولنا فيه أسوة حسنة - يمزح ولا يقول إلا حقاً، ومازح عجوزاً فقال: "إن الجنة لا يدخلها عجوز" وكانت في علي رضي الله عنه دعابة، وكان ابن سيرين يمزح ويضحك حتى يسيل لعابه.

ويستحب له ان استطاع أن يعدل بكلامه عن الجهة التي تلزمه إلى مستقبل الإعراب ليسلم من اللحن وقباحة التقعير.

ويستحب له أيضاً أن ينزل ألفاظه في كتبه فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه، وان لا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس وضيع الكلام، فإني رأيت الكتاب قد تركوا تفقد هذا من الفهم وخلطوا فيه، فليس يفرحون بين من يكتب إليه: " فرأيك في كذا" وبين من يكتب إليه" فإن رأيت كذا" ولا يفرقون بين"أنا فعلت ذلك" وبين من يكتب إليه " نحن فعلنا ذلك"

ويقول عن الإيجاز والإطناب، وعدم التفريق بينهما وتبين موضعهما:

"الإيجاز ليس بمحمود في كل موضع، ولا بمختار في كل كتاب، بل لكل مقام مقال، ولو كان الإيجاز محموداً في كل الأحوال لجرده الله تعالى في القرآن، ولم يفعل الله ذلك، لكنه أطال تارة للتوكيد، وحذف تارة للإيجاز، وكرر تارة للإفهام".

الكتاب الأول: كتاب المعرفة

يفتتح ابن قتيبة رحمه الله كتابه بكتاب المعرفة، ويقسمه على عدة أبواب منها:

باب معرفة ما يضعه الناس في غير موضعه، وذكر في هذا الباب الألفاظ التي يسيء الناس استعمالها في كلامهم.

www.abulhasanalinadwi.org

- باب تأويل ما جاء مثنى في مستعمل الكلام.
- باب تأويل المستعمل من مزدوج الكلام.
- باب ما يستعمل من الدعاء في الكلام.
- باب تأويل كلام مستعمل، كقول الناس، حلب فلان الدهر أشطره، وأدفعه عليه برمته، فلان نسيج وحده، فلان رفع عقيرته.

ومن أبواب الكتاب في المعرفة.

- باب ذكور ما شهر منه الإناث.
- باب إناث ما شهر منه الذكور
- باب ما يعرف واحده ويشكل جمعه.
- باب ما يعرف جمعه ويشكل واحده.
- ومن أبواب المعرفة، أبواب الفروق.

ونذكر فيما يلي عدة أمثلة لبعض الأبواب:

باب معرفة ما يضعه الناس في غير موضعه:

- أشفار العين: يذهب الناس إلى أنها الشعر على حروف العين، وذلك غلط، وإنما هي حروف العين، الشفر الحرف.
- الطرب: يذهب الناس إلى أنه في الفرح دون الجزع، وليس كذلك، إنما الطرب خفة تصيب الرجل لشدة السرور أو لشدة الجزع.

المثال:

فقلن لقد بكيت فقلت كلا وهل يبكي من الطرب الجليد

- الحشمة: يضعها الناس في موضع الاستحياء، وقال الأصمعي: ليس كذلك، بل بمعنى الغضب، يقال: إن ذلك

www.abulhasanalinadwi.org

يحشم بني فلان، أي يغضبهم، وقال المبرد: الحشمة: الغضب والحياء.

- الظل والفئ: الظل غدوة وعشية، فيقال: أنا في ظلك، والظل الستر، والفئ بعد الزوال، والفئ الرجوع.
- وكذلك الآل والسراب، لا يفرق الناس بينهما فالآل أول النهار وآخره، والسراب نصف النهار.
- الدّلج: يذهب الناس إلى أنه الخروج في آخر الليل والأصل سير الليل.
- العِرض: نفس الرجل، ويرى الناس أنه سلف الرجل من الآباء والأجداد.
- الفقير والمسكين: لا يفرق الناس بينهما، ولكن بينهما فرق، فالفقير: الذي له البلغة من العيش، والمسكين: الذي لا شيء له.

الحمد والشكر: لا يكاد الناس يفرقون بينهما، فالحمد: الثناء على الرجل بما فيه من حسن، والشكر له: الثناء عليه بمعروف أولاكه.

ما جاء مثنى في كلام العرب

ذهب منه الأطيبان:	الأكل والنكاح.
أهلك الرجال الأحمران:	الخمر واللحم.
أهلك النساء الأصفران:	الذهب والزعفران.
الأبيضان:	الشحم والشباب.
العصران:	الغداة والعشي.
الملوان:	الليل والنهار.
الأسودان:	التمر والماء

www.abulhasanalinadwi.org

الأصغران:	القلب واللسان
الأصرمان:	الذئب والغراب
الخافقان:	المشرق والمغرب

المستعمل من المزدوج

- الطِّمّ والرِمّ: البحر والثرى
- الضحّ والريح: ما طلعت عليه الشمس وجرت عليه الريح
- من دبّ ودَرَج: الأحياء والأموات
- صرف وعدل: التوبة والفدية.
- هِرّ وبِرّ: الهر دعاء الغنم، والبر سوقها، الهرّ الكرة.
- هياط ومياط: الصياح والدفاع.
- السامّة والعامة: الخاصة والعامة.

ما يستعمل في الدعاء

- أباد الله خضراءهم: أي: سوادهم ومعظمهم
- بالرفاء والبنين: يدعى بذلك للمتزوج، الرفاء: الالتحام والاتفاق
- أرغم الله أنفه: أي: ألزقه الرغام وهو التراب.

أصول أسماء الناس

المسمون بأسماء النبات: ثُمامة، سَمُرة، طلحة.

المسمون بأسماء الحيوانات: الحَنش، (الحية) جُندُب (جرادة)

المسمون بأسماء الطير: هوذة (القطاة) القطامي (الصقر)

المسمون بالصفات: النجاشي، هو الناجش أي استثارة الشيء، علاثة(خلط).

www.abulhasanalinadwi.org

باب معرفة ما في السماء والنجوم والأزمان والرياح

بروج السماء، مجرة السماء، منازل القمر.

الكتاب الثاني في تقويم اليد

وينقسم إلى أبواب كثيرة.

- باب إقامة الهجاء.
- باب ألف الوصل في الأسماء: تكتب: "بسم الله" إذا افتتح بها كتاب أو كلام بغير ألف، فإذا توسطت في الكلام أثبت الألف، كقولك ابدأ باسم الله، واقرأ باسم ربك.

و"الابن" إذا كان متصلاً بالاسم وهو صفة كُتب بغير ألف، تقول: هذا محمد بن عبد الله، فإن أضيف إلى غير ذلك أثبت الألف، كقولك: هذا زيد ابنك، وابن عمك، أو إذا كان خبراً كقولك: أظن محمداً ابن عبد الله، كان زيد ابن عمرو، إن زيداً ابن عمرو، كما جاء في القرآن: ﴿قالت اليهود عزير ابن الله﴾ وإن غلب اللقب على الاسم حذف الألف، كزيد بن القاضي، وفي البنت هند ابنة فلان، هذه هند بنت فلان.

- وباب "ما" إذا اتصلت: في الاستفهام يحذف الألف، وفي غير الاستفهام إتمام الألف: فيم ضربت؟ جئت فيما سألتك، كذلك من وم.
- باب "من" إذا تصلت.
- باب "لا" إذا اتصلت.
- باب حروف توصل بـ"ما" و"إذ" وغير ذلك.

الكتاب الثالث في تقويم اللسان.

وفيه أبواب كثيرة.

- باب الحرفين اللذين يتقاربان في اللفظ والمعنى ويلتبسان،

www.abulhasanalinadwi.org

فربما وضع الناس أحدهما موضع الآخر.

- باب الحروف التي تتقارب ألفاظها وتختلف معانيها.
- باب اختلاف الأبنية في الحرف الواحد لاختلاف المعاني.
- باب الأفعال.

وفي هذه الأبواب يذكر أغلاط الناس في النطق.

ونذكر أمثلة لبعض الأبواب فيما يلي:

الألفاظ التي تتقارب في الحروف، والمعنى ويلتبس على الناس استعمالها.

- الكِبَرُ: معظم الشيء، والذي تولى كبره.
- الكُبر: أكبر أولاد الرجل من الذكور.
- العُظم: أكثر الشيء، والعظم: نفسه.
- الجُهد: الطاقة، الجَهد، المشقة، هذا جُهدي أي طاقتي.
- الكُره: المشقة، جئتك على كُره أي على مشقة.
- الكَره: "أقامني على كره" إذا أكرهك غيرك عليه.
- العُرض: إحدى نواحي الشيء، العَرض: خلاف طوله.
- الحَمل: حمل كل أنثى وكل شجرة.
- الحِمل: ما كان على ظهر الناس.
- الخَلْف: الرديء من القول.
- الخَلَفُ: إذا قام مقامه.

باب الحروف التي تتقارب ألفاظها وتختلف معانيها

- الغَمر: الماء الكثير: رجل غمر الخُلق واسعه، فرس غمر: جواد، الغِمر: الحقد والرجل، الغُمر: من لم يجرب الأمور.

اختلاف المعنى باختلاف الأبنية.

رَجُل مبطَّن: إذا كان خميص البطن، وبطين: إذا كان عظيم

www.abulhasanalinadwi.org

البطن، ومبطون: إذا كان عليل البطن، وبَطِنٍ: إذا كان منهوماً، ومبطان: إذا كان ضخم البطن لكثرة الأكل.

الكتاب الرابع: كتاب الأبنية

وهو من أطول كتب الكتاب، ويشتمل على أبواب كثيرة، يبحث فيه خصائص الأفعال، واختلاف المعاني باختلاف الأبنية، ثم يبحث الإبدال، والقلب، ويذكر أمثلة من كلام العرب، وهو مفيد، ونافع للكتّاب، وأمثلة بعض الأبواب فيما يلي:

باب ما جاء فيه لغتان، من حروف مختلفة الأبنية، ذكر في هذا الباب اللغات المختلفة مثلاً:

ما يضم ويكسر

كقُرطم والقِرطَم، والحُوَلاء والحِوَلاء، والأُثفية، والإِثفية، والنُّمرقة والنَّمرقة، والأُخوة، والإِخوة، والقُضبان، والقِضبان، والقُثاء، والقِثاء، والخُيلاء، والخِيلاء، ويوسُف ويوسِف، وجُندب وجِندب، ويونُس، ويونِس، وسُفيان وسِفيان، ودُبيان ودِبيان.

وما يضم ويفتح

كالجُدري والجَدري، كُسالى وكَسالى، وعُجابى وعَجابى، غُيارى وغَيارى، وسُكارى، وسَكارى.

وما يكسر ويفتح

مثل الأربعاء والأربَعاء، مغرِّب ومغرَّب عذارَى وعذارِى، صحارَي وصحارِي، الطَنفسة والطِنفسة، زَنبيل وزِنبيل، الحَلى والحِلى، وقال الفراء: الحُليُّ جمع الحَلْى، مثل وَحى ووُحِيّ.

وما يقال بالهمزة والواو.

وشاح إشاح، وعاء إعاء، إكاف وكاف، إسادة، وسادة،

www.abulhasanalinadwi.org

وفاء، وإفاء.

وما جاء فيه ثلاث لغات

قَبل قِبَلٌ قُبل قَطب قِطب قُطب، العُمر العَمر العُمُر، العُصر العَصر العُصُر، والوَلد والوُلد والوِلد، الرَغم الرِغم الرُغم، والمَشط المِشط المُشط، السَقط السِقط السُقط، الفَتك الفِتك الفُتك، الدَدَن الدَدَا الدُد، صَغو صِغو صَغاء، شَرب شِرب شُرب، فَم فُم فِم، وَجد وِجد وُجد، (المقدرة) طَب طِب طُب، نَصب نُصب نُصُب، حِضرة حَضرة حُضَرة، رَغوة رِغوة رُغوة، (اللبن) صَفوة صِفوة صُفوة، رَبوة رِبوة رُبوة، وَجنة وِجنة وُجنة، جَذوة جِذوة جُذوة، غَلطة غِلطة غُلطة، خَدعة خِدعة، وقيل خُدعة، الزُجاج الزِجاج الزَجاج، قَصاص الشعر، قِصاصه وقُصاصه، وِشاح أَشاح وُشاح.

وما فيه خمس لغات.

الشِمال الشَأمل الشمأل الشَمُل والشَمَل، طِوَل طِيَل طُوَل، طِيل طُوَل.

وما فيه ست لغات

فُسطاط فِسطاط فُستاط فِستاط فُسّاط وفِسّاط.

باب معاني أبنية الأسماء

كل اسم على فَعَلان، معناه الحركة والاضطراب نحو غليان، جَوَلان، طَيَران، لَمَعان، يستثنى مَوَتان.

فَعْلان فيه الجوع والعطش: ظمآن عطشان، صديان، هيمان، الصفات بالألوان تأتي على أفعل، أصهب، أكهب، أشهب، أصدأ، أسود، أبلق، وكذلك صفات العيوب والأدواء: أصلع،

www.abulhasanalinadwi.org

أقطع، أجذم، أشيب.

الفِعالة تأتي كثيراً في الصناعات والولايات: كالنجارة، والخياطة، والوصاية، والإمارة.

باب شواذ البناء

ليس في الأسماء والصفات فُعِل، وقيل جاء حرف واحد، وهو الدُئِل وهي دويبة صغيرة، وليس في الكلام فِعِل إلا حرفان: الإبل وحِبر، وإلى غير ذلك.

المصادر المختلفة عن المصدر الواحد:

وَجَد، موجدة، غضب، وجد وجداً، الحزن، وجد وجداناً وجود، وجد، الوُجد، الغنى يقال افتقر فلان بعد وُجد.

غَلَت القدر غلياً وغلياناً، وغلوت في القول غلواً وغلا السعر غلاء، وغلوت بالسهم غلواً، برأت من المرض، برءاً، وبرئت منه براءاً، وبرأ الله الخلق برءاً، وبرئت القلم أبريه برياً، نحل جسمه نحولاً، ونحلته من العطِية، نُحلاً ونِحلَة ونَحَل القول نحلاً.

باب ما جمعه وواحده سواء

الفلك، السفن واحدها فلك، قال الله جل ثناؤه﴿في الفلك المشحون﴾ وفي موضع آخر ﴿حتى إذا كنتُم في الفُلْك وَجَرَيْن بِهِم﴾.

www.abulhasanalinadwi.org

مصادر الأدب :٣

الكامل للمبرد

www.abulhasanalinadwi.org

الكامل للمبرد

ترجمة المبرد

هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عميرة بن حسان بن سليمان، عربي الأصل من قبيلة ثمالة، وثمالة من الأزد.

ولد المبرد بالبصرة في ١٠/ ذي الحجة سنة ٢١٠هـ، وأخذ العلم عن أبي عمر الجرمي، وأبي عثمان المازني، وقرأ عليهما كتاب سيبويه، وأخذ عن أبي حاتم السجستاني، وأخذ عنه الصولي ونفطويه، والأخفش، وهو راوية كتابه الكامل وله عليه تعليقات، وكان المبرد إمام العربية ببغداد، وإليه انتهى علمها، وكان حسن المحاضرة، فصيحاً بليغاً، مليح الإطار، ثقة فيما يرويه، كثير النوادر، فيه ظرافة ولباقة، وكان يتنازع رياسة العلم في بغداد هو وثعلب، واختلفت مدرستهما، فالمبرد بصري، وثعلب كوفي.

كان المبرد يحفظ كثيراً من اللغة وغريبها، وكان أحفظ الناس في عصره للأخبار، واسع الاطلاع في النحو، وهو أديب، لغوي، ومثقف ثقافة عربية خالصة، ويمثل المدرسة العربية للثقافة.

ولقب بالمبرد، لأنه لما صنف المازني كتاب الألف واللام، سأله عن دقيقه وعويصه فأجابه بأحسن جواب، فقال له المازني: "قم فأنت المبرد" بكسر الراء، أي المثبت للحق، فحرفه الكوفيون وجعلوه بفتح الراء.

قال أبو بكر بن مجاهد: ما رأيت أحسن جواباً من المبرد في معاني القرآن فيما ليس فيه قول لمتقدم.

www.abulhasanalinadwi.org

قال السيرافي سمعت نفطويه يقول: ما رأيت أحفظ للأخبار بغير أسانيد من المبرد وأبي العباس بن الفرات.

وحكى ابن السراج، كان بين المبرد وثعلب ما يكون بين المعاصرين من المناظرة، واشتهر ذلك حتى قال بعضهم:

كفى حزناً أنا جميعاً ببلدة ... ويجمعنا في أرضها شر مشهد

وكل لكل مخلص الود وامق ... ولكنه في جانب عنه مفرد

نروح ونغدو ولا تزاور بيننا ... وليس بمضروب لنا يوم موعد

فأبداننا في بلدة والتقاؤنا ... عسير كلقيا ثعلب والمبرد

قال ابن جني: يعد جبلاً في العلم، وإليه أفضت مقالات أصحابنا، وهو الذي نقلها وقررها وأجرى الفروع والعلل والمقاييس عليها.

قال الأزهري: كان أعلم الناس بمذاهب البصريين في النحو ومقاييسه.

يقول ابن خلكان: كان المبرد وأبو العباس أحمد بن يحيى الثعلب صاحب كتاب الفصيح عالمين متعاصرين ختم بهما تاريخ الأدباء.

مؤلفاته:

ألف المبرد كتباً كثيرة، من أهم كتبه الكامل في اللغة والأدب، والمقتضب في النحو، وكتاب الروضة، والمدخل في كتاب سيبويه، وكتاب الاشتقاق، والمقصور والممدود، وكتاب الخط والهجاء، وكتاب الأنواء والأزمنة، واحتجاج القراء، وإعراب القرآن، وكتاب صفات الله، وكتب أخرى، وتوفي في عام ٢٨٥ هـ ببغداد.

www.abulhasanalinadwi.org

الكامل

قال الإمام المعافي ابن زكريا: عمل أبو العباس محمد بن يزيد النحوي كتابه الذي سماه "الكامل" وضمنه أخباراً وقصصاً لا إسناد لكثير منها، وأودعه من اشتقاق اللغة وشرحها وبيان أسرارها، وفقهها ما يأتي به مثله لسعة علمه وقوة فهمه ولطيف فكرته، وصفاء قريحته، ومن جلى النحو والإعراب وغامضهما ما يقل وجود من يسد فيه مسده.

عقد المبرد في كتابه أبواباً كثيرة، ولكن دراسة ما ورد في هذه الأبواب لا تدل على وجود أي تمييز بين النصوص المدرجة في الأبواب ولا استثناء، وإنما يبدو أنه قسم كتابه على الأبواب للفصل بين النصوص لإزالة السآمة، ويأتي في كل باب بنصوص تكون مختلفة عن موضوع النصوص الرئيسي، ويعترف المبرد نفسه بذلك، فيقول في أحد الأبواب:

"نوفي هذا الباب من كل شيء شيئاً، لتكون فيه استراحة للقارئ، وانتقال ينفي الملل، لحسن موقع الاستطراد ونخلط ما فيه من الجد بشيء يسير من الهزل يستريح إليه القلب، وتسكن إليه النفس".

ويأتي على هذا المنهج بدليل فيقول:

قال أبو الدرداء رحمه الله: إني لأستجم نفسي بالشيء بالباطل ليكون أقوى لها على الحق".

وقال على بن أبي طالب كرم الله وجهه: "القلب إذا أكره عمي".

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: " القلوب تملُّ كما تملُّ

www.abulhasanalinadwi.org

الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة".

وليس هذا الحديث من الباب الذي ذكرنا، ولكن نذكر الشيء بالشيء، إما لاجتماعهما في لفظ، وإما لاشتراكهما في معنى.

قال أرد شير بن بابك: " إن للآذان مجة، وللقلوب ملالاً، ففرقوا بين الحكمتين يكن ذلك استجماماً".

ويقول في باب آخر:

" هذا باب اشترطنا أن نخرج فيه من حزن إلى سهل، ومن جد إلى هزل، ليستريح إليه القارئ، ويدفع عن مستمعه الملال، ونحن ذاكر لك ذلك إن شاء الله ".

سبب تأليف الكتاب

قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد:

"هذا كتاب ألفناه؛ يجمع ضروباً من الآداب، ما بين كلام منثور، وشعر مرصوص، ومثل سائر، وموعظة بالغة، واختيار من خطبة شريفة، ورسالة بليغة، والنية فيه أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب، أو معنى مستغلق، وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحاً شافياً، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيا، وعن أن يرجع واحد في تفسيره إلى غيره مستغنياً وبالله التوفيق والحول والقوة، وإليه مفزعنا في درك كل طلبة، والتوفيق لما فيه صلاح أمورنا من عمل بطاعته وعقد يرضاه، وقول صادق، يرفعه عمل صالح، إنه على كل شيء قدير".

www.abulhasanalinadwi.org

باب وصف الرسول صلى الله عليه وسلم للأنصار

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار في كلام جرى: إنكم لتشكرون عند الفزع وتقلون عند الطمع".

الشرح: الفزع في كلام العرب على وجهين، أحدهما ما تستعمله العامة تريد به الذعر، والآخر الاستنجاد والاستصراخ، كقول سلامة بن جندل:

كنا إذا ما أتانا صارخ فزع كان الصراخ له قرع الظنابيب

يقول إذا أتانا مستغيث كانت إغاثته الجد في نصرته، يقال: قرع لذلك الأمر ظنبوبه، إذا جد فيه ولم يفتر، ويشتق من هذا المعنى أن يقع فزع في معنى أغاث كما قال الكلحبة اليربوعي، والكلحبة لقب واسمه هبيرة:

فقلت لكأس الجميها فإنني حللت الكثيب من زرود لأفزعا

وقال جرير يهجو عرين بن يربوع:

عرين من عرينة ليس منا برئت إلى عرينة من عرين

يقول لأغيث: وكأس اسم جارية، أمرها بإلجام فرسه ليغيث، وظنبوب مقدم عظم الساق.

حديث: ألا أخبركم بأحبكم إليّ.....

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم مني مجالس يوم القيامة؟ أحاسنكم أخلاقاً، الموطأون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون، ألا أخبركم بأبغضكم إليّ وأبعدكم

www.abulhasanalinadwi.org

مني مجالس يوم القيامة؟الثرثارون المتفيهقون"(١).

قوله صلى الله عليه وسلم: " الموطأون أكنافاً" مثل ،وحقيقته أن التوطئة هي التذليل والتمهيد، يقال: دابة وطئ، يا فتى، وهو الذي لا يحرك راكبه في مسيره، وفراش وطئ إذا كان وثيراً (٢)، لا يؤذي جنب النائم عليه، فأراد القائل بقوله: "موطأ الأكناف" أن ناحيته يتمكن فيها صاحبها غير مؤذى، ولا ناب به موضعه.

قال أبو العباس: حدثني العباس بن الفرج الرياشي قال: حدثني الأصمعي قال: قيل لأعرابي - وهو المنتجع بن نبهان -: ما السميدع؟ فقال: السيد الموطأ الأكناف.

وتأويل الأكناف الجوانب، يقال: في المثل: فلان في كنف فلان، كما يقال: فلان في ظل فلان، وفي ذرى فلان، وفي ناحية فلان، وفي حيز فلان.

وقوله صلى الله عليه: "الثرثارون" يعني الذين يكثرون الكلام تكلفاً وتجاوزاً وخروجاً عن الحق، وأصل هذه اللفظة من العين الواسعة من عيون الماء، يقال: عين ثرثارة، وكان يقال لنهر بعينه: الثرثار، وإنما سمي به لكثرة مائه، قال الأخطل واسمه غياث ابن غوث يكني أبا مالك.

لعمري لقد لاقت سليم وعامر على جانب الثرثار راغية البكر

قوله: "راغية البكر"(٣) أراد أن بكر ثمود رغا فيهم فأهلكوا، فضربته العرب مثلاً، وأكثرت فيه، قال علقمة بن عبدة الفحل:

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي بنحوه في كتاب: البر والصلة(الحديث: ١٩٤١).
(٢) وثيراً: أي ليناً مريحاً وناعماً.
(٣) البكر: هو الجمل الصغير.

www.abulhasanalinadwi.org

رغا فوقهم سقب السماء فداحض بشكته لم يستلب وسليب[١]

وكذلك إذا لم تضعّف الثاء فقلت: عين ثرّة، فإنما معناها غزيرة واسعة، قال عنترة:

جادت عليها كل عين ثرة فتركن كل حديقة كالدرهم

قال أبو العباس: وليست الثرة عند النحويين البصريين من لفظة الثرثارة، ولكنها في معناها، ويجب أن يكون من الثرة، ثرارة.

وقوله صلى الله عليه وسلم: "المتفيهقون" إنما هو بمنزلة قوله: "الثرثارون" توكيد له، ومتفيهق متفيعل، من قولهم: فهق الغدير يفهق إذا امتلأ ماء فلم يكن فيه موضع مزيد، كما قال الأعشى:

نفى الذم عن رهط المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق

كذا ينشده أهل البصرة، وتأويله عندهم أن العراقي إذا تمكن من الماء ملأ جابيته لأنه حضري فلا يعرف مواقع الماء ولا محاله.

قال أبو العباس: وسمعت أعرابية تنشد[٢]: "كجابية السيح" تريد النهر الذي يجري على جابيته، فماؤها لا ينقطع، لأن النهر يمده، مثل قول البصريين فيما ذكروا به، "العراقي الشيخ" قول الشاعر: [٣]

لها ذنب ضاف وذفرى أسيلة وخدّ كمرآة الغريبة أسجع

يقول: إن الغريبة لا ناصح لها في وجهها، لبعدها عن أهلها، فمرآتها أبداً مجلوّة، لفرط حاجتها إليها.

وتصديق ما فسرناه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) قال أبو الحسن: الداحض: الساقط، والداحض أيضاً(الزالق).

(٢) قال أبو الحسن: هي أم الهيثم الكلابية من ولد المحلق، وهي راوية أهل الكوفة.

(٣) قال أبو الحسن: هو ذو الرمة.

www.abulhasanalinadwi.org

أنه يريد الصدق في المنطق والقصد، وترك ما لا يحتاج إليه، قوله لجرير ابن عبد الله البجلي: "يا جرير، إذا قلت فأوجز، وإذا بلغت حاجتك فلا تتكلف".

من هذين النموذجين اللذين بدأ بهما المبرد كتابه، يتضح نهجه في بحث النص الأدبي، فإنه يورد النص، ثم يشرح الألفاظ، وينتقل إلى نص آخر ويشرح إذا اشتمل على ألفاظ تحتاج إلى الشرح، ويعود إلى النص الأدبي.

بدأ المبرد كتابه بنموذجين من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم انتقل إلى كلام سيدنا أبي بكر الصديق رضى الله عنه.

كلمة أبي بكر في مرضه لعبد الرحمن بن عوف

قال أبو العباس: ومما يؤثر من حكيم الأخبار، وبارع الآداب، ما حدثنا به عن عبد الرحمن بن عوف، وهو أنه قال: دخلت يوماً على أبي بكر الصديق - رحمه الله - في علته التي مات فيها، فقلت له: أراك بارئاً يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أما إني على ذلك لشديد الوجع، ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد علي من وجعي، إني وليت أموركم خيركم في نفسي، فكلكم ورم أنفه أن يكون له الأمر من دونه، والله لتتخذن نضائد الديباج وستور الحرير، ولتألمن النوم على الصوف الأذربي كما يألم أحدكم النوم على حسك السعدان، والذي نفسي بيده لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حد خير له من أن يخوض غمرات الدنيا، يا هادي الطريق جرت، إنما هو والله الفجر، أو البجر، فقلت: خفض عليك يا خليفة رسول الله، فإن هذا يهيضك إلى ما بك، فوالله مازلت صالحاً مصلحاً، لا تأس على شيء فاتك من أمر الدنيا، ولقد تخليت بالأمر وحدك فما رأيت إلا خيراً.

www.abulhasanalinadwi.org

قوله: " نضائد الديباج" واحدتها نضيدة، وهي الوسادة وما ينضد من المتاع، قال الراجز:

وقربت خدامها الوسائدا
حتى إذا ما علوا النضائدا
سبحت ربي قائماً وقاعدا

وقد تسمى العرب جماعة ذلك النضد، والمعنى واحد، إنما هو ما نضد في البيت من متاع، قال النابغة:

ورفعته إلى السجفين فالنضد

ويقال: نضدت المتاع إذا ضممت بعضه إلى بعض، فهذا أصله، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ لهاطلع نضيد﴾ [ق: ١٠] وقال: ﴿ في سدر مخضود وطلح منضود﴾ [الواقعة: ٢٨- ٢٩] ويقال: نضدت اللبن على الميت.

وقوله: " على الصوف الأذربي" فهذا منسوب إلى أذربيجان، وكذلك تقول العرب، قال الشماخ:

تذكرتها وهناً وقد حال دونها قرى أذربيجان المسالح والجال[1]

وقوله: "على حسك السعدان" فالسعدان نبت كثير الحسك تأكله الإبل فتسمن عليه، ويغذوها غذاء لا يوجد في غيره، فمن أمثال العرب: " مرعي ولا كالسعدان" تفضيلاً له، قال النابغة:

الواهب المائة الأبكار زيّنها سعدان توضح في أوبارها اللبد[2]

---

(١) الوهن: والموهن نحو من نصف الليل، قال الأصمعي: هو حين يدبر الليل، والمسالح: جمع مسلحة بالفتح وهي الثغور والجال: ناصية البحر أو الجبل وكأنه يقول: تذكرت من أحبه وقد حال بيني وبينه الثغور والجبال فلا أتمكن من الوصول إليه.

(٢) الواهب المائة: يقصد به النعمان بن المنذر، والأبكار: جمع بكر وهي المرأة التي ولدت بطناً واحداً، وكذا البكر من الإبل، وتوضح: موضع، واللبد: المتلبد: وأضاف السعدان إلى توضح لأنه في الموضع أحسن منه في غيره يريد أن تلك الإبل كانت سمينة جميلة من كثرة

www.abulhasanalinadwi.org

ويروي في بعض الحديث" أنه يؤمر بالكافر يوم القيامة فيسحب على حسك السعدان" والله أعلم بذلك.

قال أبو الحسن: السعدان: نبت كثير الشوك - كما ذكر أبوالعباس - ولا ساق له، إنما هو منفرش على وجه الأرض، حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني عن ابن الأعرابي، قال: قيل لرجل من أهل البادية - وخرج عنها: أترجع إلى البادية؟ فقال: أما ما دام السعدان مستلقياً فلا، يريد أنه لا يرجع إلى البادية أبداً، كما أن السعدان لا يزول عن الاستلقاء أبداً.

وقال أبو علي البصير- واسمه الفضل بن جعفر، وإن لم يكن بحجة، ولكنه أجاد فذكرنا شعره هذا لجودته لا للاحتجاج به - يمدح عبيد الله بن يحيى بن خاقان وآله فقال:

يا وزراء السلطان ... أنتم وآل خاقان
كبعض ما روينا ... في سالفات الأزمان
ماء ولا كصدّاء ... مرعى ولا كالسعدان

وهذه الأمثال ثلاثة، منها قولهم: "مرعى ولا كالسعدان" و"فتى ولا كمالك" و"ماء ولا كصداء" وتضرب هذه الأمثال للشيء الذي فيه فضل وغيره أفضل منه، كقولهم: " ما من طامة إلا فوقها طامة" أي ما من داهية إلا فوقها داهية، ويقال: طما الماء وطمّ إذا ارتفع وزاد.

ومالك الذي ذكروا هو مالك بن نويرة، أخو متمم بن نويرة.

[وصدّاء يمد، وبعضهم يقول: صدّي، فيضم أوله ويقصر، فأما أبو العباس محمد بن يزيد، فإنه قال: لم أسمع من أصحابنا إلا

أكل ذلك السعدان.

www.abulhasanalinadwi.org

صدآء يا فتي، وهو اسم لماء(١)، معرفة، وهما همزتان بينهما ألف، والألف لا تكون إلا ساكنة، كأنك قلت: صدعاع يا هذا!.

وقوله: "إنما هو والله الفجر أو البجر" يقول: إن انتظرت حتى يضيء لك الفجر الطريق أبصرت قصدتك، وإن خبطت الظلماء، وركبت العشواء هجما بك على المكروه، وضرب ذلك مثلاً لغمرات الدنيا، وتحييرها أهلها.

وقوله: "يهيضك" مأخوذ من قولهم: هيض العظم إذا جبر، ثم أصابه شيء يعنته فآذاه فكسره ثانية، أو لم يكسره، ، وأكثر ما يستعمل في كسره ثانية، ويقال: عظم مهيض، وجناح مهيض في هذا المعنى: ثم يشتق لغير ذلك، وأصله ما ذكرت لك، فمن ذلك قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله لما كسر يزيد بن المهلب سجنه وهرب، فكتب إليه: لو علمت أنك تبقى ما فعلت، ولكنك مسموم، ولم أكن لأضع يدي في يدا ابن عاتكة(٢)، فقال عمر: اللهم إنه قد هاضني فهضه، فهذا معناه.

وقوله: " فكلكم ورم أنفه" يقول: امتلأ من ذلك غضباً، وذكر أنفه دون السائر كما يقال: فلان شامخ بأنفه، يريد رافع رأسه، وهذا يكون من الغضب كما قال الشاعر:

ولا يهاج إذا ما أنفه ورما

أي لا يكلم عند الغضب، ويقال للمائل برأسه كبراً: متشاوش، وثاني عطفه، ثاني جيده، إنما هذا كله من الكبرياء، فقال الله عزوجل ﴿ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله﴾ [الحج: ١٩] وقال

---

(١) وهي عين عذباء، ليس عندهم أعذب منها.

(٢) هو يزيد بن عبد الملك بن مروان، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية، ولي الملك بعد عمر بن عبد العزيز ولا يعلم أحد أعرق في الخلافة منه.

www.abulhasanalinadwi.org

الشماخ: (١)

نبئت أن ربيعاً أن رعى إبلا يهدي إليّ خناه ثاني الجيد

وقوله: "أراك بارئاً يا خليفة رسول الله" يكون من برئت من المرض وبرأت، كلاهما يقال: فمن قال برئت يقول: أبرأ يافتى لا غير، ومن قال: برأت في المضارع: أبرأ وأبرؤ، يا فتى، مثل فرغ ويفرغ، والآية تقرأ على وجهين ﴿سنفرُغ لكم أيه الثقلان﴾ [الرحمن: ٣١] و﴿ سنفرَغ﴾ والمصدر فيهما "البُرءُ" يا فتى

عهد أبي بكر بالخلافة إلى عمر

وما روي لنا عنه رضي الله عنه حيث عهد عند موته وهو: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، عند آخر عهده بالدنيا، وأول عهده بالآخرة، في الحال التي يؤمن فيها الكافر، ويتقي فيها الفاجر، إني استعملت عليكم عمر بن الخطاب، فإن برّ وعدل فذلك علمي به، ورأيي فيه، وإن جار وبدّل فلا علم لي بالغيب، والخير أردت، ولكل امرئ ما اكتسب ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

نصب "أي" بقوله" ينقلبون" ولا يكون نصبها بـ" سيعلم" لأن حروف الاستفهام إذا كانت أسماء امتنعت مما قبلها كما يمتنع ما بعد الألف من أن يعمل فيه ما قبله، وذلك قولك: " علمت زيداً منطلقا" فإن أدخلت الألف قلت: " علمت أزيد منطلق أم لا" فأي بمنزلة زيد الواقع بعد الألف، ألا ترى أن معناها: أذا أم ذا، وقال الله عزوجل: ﴿لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا﴾[الكهف١٢] لأن معناها: أهذا أم هذا؟ وقال تعالى ﴿فلينظر أيها أزكى طعاماً﴾ [الكهف: ١٩]

---

(١) يهجو الربيع ابن علياء السلمي.

www.abulhasanalinadwi.org

على ما فسرت لك، وتقول :أعلم أيهم ضرب زيدا، وأعلم أيهم ضرب زيد، تنصب أيا بـ" لأن" زيدا" فاعل، فإنما هذا لما بعده، وكذلك ما أضيف إلى اسم من هذه الأسماء المستفهم بها، نحو: قد علمت غلام أيهم في الدار، وقد عرفت غلام من في الدار، وقد علمتُ غلام من ضربت، فتنصبه بـ" ضربت" فعلى هذا مجرى الباب.

وانتقل بعد ذلك إلى كلمة سيدنا عمر رضي الله عنه، ثم خطبته الأولى ورسالته في القضاء إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وأورد بعد ذلك كتاب عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حين أحيط به، ومعاتبة عثمان علياً رضي الله عنه، وكلمة علي كرم الله وجهه حين بلغه أن خيلاً لمعاوية رضي الله عنه، وردت الأنبار وقتلوا عامله، وتحول المبرد إلى المسائل النحوية، وبحثها بتفصيل إذا كانت في أي نص.

خصائص كلام العرب

بعد هذه النماذج التي افتتح بها المبرد كتابه أو حلى بها كتابه، تناول المبرد في الباب الأول من الكتاب بعض خصائص كلام العرب، فيقول: من كلام العرب الاختصار المفهم، والإطناب المفخّم، وقد يقع الإيماء إلى الشيء فيغني عند ذوي الألباب عن كشفه، كما قيل: لمحة دالة، وقد يضطر الشاعر المفلق، والخطيب المصقع، والكاتب البليغ، فيقع في كلام أحدهم المعنى المستغلق، واللفظ المستكره، فإن انعطفت عليه جنبتا الكلام غطتا على عواره، وسترتا من شينه، فمن ألفاظ العرب البينة القريبة المفهمة، الحسنة الوصف، الجميلة الرصف، قول الحطيئة:

وذاك فتى إن تأته في صنيعة إلى ماله لا تأته بشفيع

www.abulhasanalinadwi.org

وقول عنترة:

يخبرك من شهد الوقيعة أنني أغشى الوغى وأعفّ عند المغنمِ

ومما وقع كالإيماء قول الفرزدق

ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل

فتأويل هذا أن بيت جرير في العرب كالبيت الواهي الضعيف فقال: وقضى عليك به الكتاب المنزل، يريد به قول الله تبارك وتعالى ﴿وإنَّ أوْهنَ البيوت لبيت العنكبوت﴾ ومن كلامه المستحسن قوله لجرير:

فهل ضربة الرومي جاعلة لكمِ أباعن كليب أو أبا مثل دارم

ومن أقبح الضرورة وأهجن الألفاظ وأبعد المعاني قوله:

وما مثله في الناس إلا مملكاً أبو أمه حي أبوه يقاربه

يعنى بالمملك هشاماً، أبو أم ذلك المملك أبو هذا الممدوح، وقد مدح الشاعر إبراهيم بن هشام، وهو خال هشام بن عبد الملك، يريد الشاعر أن يقول: وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملك أبوأم هذا المملك أبو هذا الممدوح، فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد، وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير.

يقول المبرد تعليقاً على هذا الشعر: ليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب، ولكن يعطي كل ما يستحقه.

ومما يفضل لتخلصه من التكلف وسلامته من التزيد وبعده من الاستعانة قول أبي حية النميريُّ:

رمتني وستر الله بيني وبينها عشية أرآم الكناس رميمِ

ستر الله، الإسلام، وقيل فيه أنه الشيب، وقيل ما حرم الله عليهما، يقول رمتني بطرفها وأصابتني بمحاسنها ولو كنت شاباً لرميت كما رُميت وفَتَنْتُ كما فُتِنْتُ، الكناس والمكنس الموضع الذي

www.abulhasanalinadwi.org

تأوي إليه الظباء، وجمع الكناس الكُنُس، وجمه المكنس مكانس، ورميم اسم جارية، مأخوذ من العظام الرميم وهي البالية، كذلك الرمة والرمة القطعة البالية من الحبل.

وأما ما ذكرناه من الاستعانة فهو أن يدخل في الكلام ما لا حاجة بالمستمع إليه ليصحح به نظماً أو وزناً، إن كان في شعر أو ليتذكر به ما بعده إن كان من كلام منثور كقول العامة: ألست تسمع؟ أفهمت أين أنت؟ وربما تشاغل العي بفتل إصبعه، ومس لحيته، وغير ذلك من بدنه، وربما تنحنح وقال الشاعر يعيب بعض الخطباء:

مليء ببهر والتفات وسعلة ومسحة عثنون وفتل الأصابع

ومما يستحسن لفظه ويستغرب معناه ويحمد اختصاره قول أعرابي من بني كلاب:

فمن يك لم يغرض فإني وناقتي بحجر إلى أهل الحمى غرضان

هوى ناقتي خلفي وقدامى الهوى وإني وإياها لمختلفان

تحن فتبدي ما بها من صبابة وأخفي الذي لولا الأسى لقضاني

يريد لقضى عليّ فأخرجه لفصاحته وعلمه بجوهر الكلام أحسن مخرج، قال الله عزوجل: ﴿إذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾، ولامعنى إذا كالوا لهم أو وزنوا لهم، وقال تعالى ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا﴾ أي من قومه.

وقال إياس بن عامر:

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال وذا نسب

أي أمرتك بالخير.

وتقول العرب: أقمت ثلاثاً ما أذوقهن طعاماً ولا شراباً، أي ما أذوق فيهن.

www.abulhasanalinadwi.org

وبعد ذكر الشعر المستحسن لفظاً ومعناً، يقول المبرد: نذكر من كلام الحكماء، وأمثالهم وآدابهم صدراً، ثم نعود إلى المقطعات إنشاء الله، ويذكر نماذج من كلام الحكماء.

بعض نماذج من بيان القواعد النحوية واللغوية أثناء شرح النصوص

ومن يؤثر الحق النؤوب تكن خصاصة جسم وهو طيّان ماجد
وإني امرء عافي إنائي شركة وأنت امرء عافي إناؤك واحد
أقسم جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد

قوله: " النؤوب" يريد الذي ينوبه، وكل واو انضمت لغير علّة فأنت في همزها وتركه بالخيار، تقول في جمع دار، أدُؤُرٌ، وإن شئت لم تهمز، وكذلك النؤوب، والقؤول لانضمام الواو، فأما الواو الثانية، فإنها ساكنة وقبلها ضمة، وهي مدة فلا يعتدّ بها، ولو التقت واوان في أول كلمة وليس إحداهما مدة لم يكن بد من همز الأولى، تقول في تصغير واصل وواقد، أو يصل وأو يقد، لا بد من ذلك، أما وجوه، فإن شئت همزت فقلت أجوه، وإن شئت لم تهمز، قال الله عزوجل: ﴿ وإذا الرسل أقتت﴾ والأصل وقتت.

المثال الثاني

قال رجل من بني نهشل:

إنا بني نهشل لا ندعي لأب عنه ولا هو بالأبناء يشرينا
إن تبتدر غاية يوماً لمكرمة تلق السوابق منا والمصلينا

قوله: "إنا بني نهشل يعني نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم، ومن قال: إنا بنو نهشل فقد خبرك، وجعل بني خبر إنّ، ومن قال: بني فإنما جعل الخبر أن تبتدر غاية يوماً لمكرمة تلق السوابق منا والمصلينا، ونصب بني على فعل مضمر

www.abulhasanalinadwi.org

للاختصاص، وهذا أمدح، ومثله: نحن بني ضبة أصحاب الجمل، أراد نحن أصحاب الجمل، ثم أبان من يختص بهذا فقال: أعني بني ضبة، وقرأ عيسى بن عمر ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ أراد وامرأته في جيدها حبل من مسد، ثم عرفها بحمالة الحطب، وقوله عزوجل: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ بعد قوله: لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون، إنما هو على هذا وهو أبلغ في التعريف، وأكثر العرب ينشد (هو لعمرو بن الأهتم المنقري):

إنا بني منقر قوم ذوو حسب فينا سراة بني سعد ونابيها

وقوله: "يشرينا يريد يبيعنا، يقال: شراه يشريه إذا باعه فهذه المعروفة، قال الله عزوجل: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنْ الزَّاهِدِينَ﴾[يوسف: ٢٠]

وقال ابن مفرغ الحميري:

شريت برداً ولولا ما تكنفني من الحوادث ما فارقته أبداً

ويكون شريت في معنى اشتريت وهو من الأضداد، وأنشدني التوزي:

اشروا لها خاتنا وابغوا لختنتها مواسياً أربعاً فيهن تذكير

وقوله: تلق السوابق منا والمصلينا، فالمصلي الذي في إثر السابق وإنما سمي مصلياً لأنه مع صلوى السابق وهما عرقان في الردف، قال الشاعر:

تركت الرمح يعمل في صلاه كأن سنانه خرطوم نسر

المثال الثالث

قيل للأحنف أي المجالس أطيب؟ قال: ما سافر فيه البصر، واتدع فيه البدن، افتعل من التوديع، والأصل اوتدع، فتقلب الواو ياء

www.abulhasanalinadwi.org

لانكسار ما قبلها، وهذا القول مذهب أهل الحجاز، يقولون ايتزر ياتزر، وهو رجل موتزر، والأجود أن تقلب ما كان أصله الواو، والياء من باب افتعل تاء وتدغمها في التاء من افتعل فتقول: اتدع يتدع وهو متدع ومتزر ومتعد من الوعد ومتئس من اليأس، تكون الياء كالواء لأنها إن أظهرت انقلبت على حركة ما قبلها فصارت كالواو، وتكونان واوين عند الضمة نحو موعد وموتعد وموئس ومؤتئس، ويائين للكسرة، والواء قد تقلب إلى التاء ولا تاء بعدها نحو تراث من ورِثت، وتجاه من الوجه، وإنما ذلك كراهية الضمة في الواو، وأقرب حروف الزوائد، والبدل منها التاء فقلبت إليها، وقد تقلب للبدل في غير ضم نحو هذا أتقي من هذا، وضربته حتى اتكأته، فلما كانت بعدها تاء افتعل كان الوجه القلب ليقع الادغام، وقد فسرنا هذا على غاية الاستقصاء في الكتاب المقتضب.

ويترك المبرد كثيراً من النصوص بدون شرح لعدم وجود ألفاظ تحتاج إلى الشرح.

وقيل للمهلب بن أبي صفرة: ما خير المجالس؟ فقال ما بعد فيه مدى الطرف، وكثرت فيه فائدة الجليس، وبعد هذا النص يورد قولاً للقمان الحكيم لابنه: يا بني إذا أتيت مجلس قوم فارمهم بسهم الإسلام، ثم اجلس، فإن أفاضوا في ذكر الله فأجل سهمك مع سهامهم، وإن أفاضوا في غيره فخلّهم وانهض.

قوله: فارمهم بسهم الإسلام، يعني السلام، وقوله فأجل سهمك مع سهامهم، يقول أدخل معهم في أمرهم، فضربه مثلاً من دخول الرجل في قداح الميسر.

أحسن الشعر

أحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبّه، وأحسن منه ما

www.abulhasanalinadwi.org

أصاب الحقيقة وشبّه فيه بفطنته على ما يخفي على غيره وساقه برصيف قوي واختصار قريب قال قيس بن معاذ:

وأخرج من بين الجلوس لعلني أحدث عنك النفس في السرخاليا
وإني لأستغشى وما بي نعسة لعل خيالاً منك يلقي خياليا

هذا من أحسن الكلام وأوضحه معنى.

وخص المبرد باباً لأجود ما قيل من الشعر، فيقول: هذه أشعار اخترناها من أشعار المولدين حكيمة، مستحسنة يحتاج إليها للتمثل، لأنها أشكل بالدهر، ويستعار من ألفاظها في المخاطبات والخطب، والكتب، منها ما قاله محمود الورّاق:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا محال في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحبّ لمن يحب مطيع

وقال محمود الوراق:

يا ناظراً يرنو بعيني راقد ومشاهدا للأمر غير مشاهد
منيت نفسك ضلّة وأبحتها طرق الرجاء وهن غير قواصد
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي درك الجنان بها وفوز العابد
ونسيت أن الله أخرج آدماً منها إلى الدنيا بذنب واحد

ولم يشرح المبرد هذه الأبيات لسهولة لفظها ومعناها، إلا أنه يعلق على بعض الأبيات أنها مأخوذة من قول فلان، كقول إسماعيل ابن القاسم (وهو أبو العتاهية):

يا عجباً للناس لو فكروا وحاسبوا أنفسهم أبصروا

مأخوذ من قولهم: "الفكرة مرآة تريك حسنك من قبيحك" وقول الشاعر:

وعبروا الدنيا إلى غيرها فإنما الدنيا لهم معبر

www.abulhasanalinadwi.org

مأخوذ من قول الحسن رضي الله عنه، "اجعل الدنيا كالقنطرة تجوز عليها ولا تعمرها".

ويذكر المبرد أبياتاً من قصيدة لأبي نواس ويصفها بأنها أجود ما قيل، وينتقد شعر أبي نواس وهو نقد ديني:

كيف لا يدنيك من أمل مَنْ رسول الله مِنْ نَفَرِه

فيقول: وهو لعمري كلام مستهجن، موضوع في غير موضعه، لأن حق رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يضاف إليه، ولا يُضاف إلى غيره، ولو اتسع متبع فأجراه في باب الحيلة لخرج على الاحتيال، ولكنه عَسِرٌ موضوع في غير موضعه، وباب الاحتيال فيه أن تقول: قد يقول القائل من بني هاشم لغيره من أبناء قريش: منا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق هذا، إنه من القبيل الذي أنا منه، فقد أضافه إلى نفسه، وكذلك يقول القرشي لسائر العرب، كما قال حسان ابن ثابت الأنصاري رضي الله عنه:

وما زال في الإسلام من آل هاشمٍ دعائم عزّ لا ترام ومفخر
بهاليلُ منهم جعفر وابن أمّه عليّ ومنهم أحمد المُتَخَيَّر

فقال منهم كما قال هذا: من نفره، أراد من النفر الذين العباس هذا الممدوح منهم.

وأما قول حسان: منهم جعفر وابن أمه عليّ ومنهم أحمد المتخير، فإن العرب إذا كان العطف بالواو، قدمت أو أخرت، قال الله تبارك وتعالى ﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ وقال: ﴿يا معشر الجن والإنس﴾ و ﴿واسجدي واركعي مع الراكعين﴾ ولو كان بثم أو بالفاء لم يصلح إلا بتقديم المقدم، ثم الذي يليه واحداً فواحداً.

البلاغة

كان خالد يقول: لا تكون بليغاً حتى تكلم أمتك السوداء في

www.abulhasanalinadwi.org

الليلة الظلماء في الحاجة المهمة بما تتكلم به في نادي قومك، فإنما اللسان عضو إذا مرّنته مرَن، وإذا أهملته خار، كاليد التي تخشنها الممارسة والبدن الذي تقويه برفع الحجر، وما أشبهه، والرجل إذا عودت المشي مشت.

الجزء الثاني

يبدأ أبو العباس المبرد الجزء الثاني بباب ذكر فيه ما فيه استراحة للقراء، يقول: نذكر في هذا الباب من كل شيء شيئاً لتكون فيه استراحة للقارئ، وانتقال ينفي الملل لحسن موقع الاستطراف، ونخلط ما فيه من الجد بشيء يسير من الهزل ليستريح إليه القلب، وتسكن إليه النفس، قال أبو الدرداء رحمه الله: إني لأستجم نفسي بشيء من الباطل ليكون أقوى لها على الحق، ثم يأتي باب في التشبيه المصيب، يذكر فيه ما ورد في الشعر من تشبيهات لطيفة.

وفي الباب ٤٨/٤٩ أخبار الخوارج وأخبار متفرقة.

وفي الباب ٥٠ اللام التي للاستعانة والتي للإضافة.

وفي الباب ٥١ النسب إلى المضاف، وأخبار متفرقة عن الأزارقة، والمهلب بن أبي الصفرة، وخطبه، وعبد الملك، والحجاج.

وفي الباب ٥٢/٥٣ اختصار الخطب والتحميد والمواعظ.

وفي الباب ٥٤ بعض من جزعوا عند الموت.

وفي الباب ٥٥ من أشعار المحدثين.

وفي الباب ٥٦ ذكر الأذواء من اليمن في الإسلام.

وفي الباب ٥٧ الفرق بين معرفة الحيوان ونكرته وبين مذكره ومؤنثه وينتهي الكتاب بالأشعار المختارة، وآخر ما ورد في الكتاب آيات القرآن التي يغلط في مجازها النحويون.

www.abulhasanalinadwi.org

مصادر الأدب ـ ٤

كتاب الأمالي لأبي علي القالي

www.abulhasanalinadwi.org

كتاب الأمالي لأبي علي القالي

ترجمة القالي

هوأبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان القالي اللغوي، وجده سلمان مولى عبد الملك بن مروان.

ولد في منازجرد من ديار بكر في ثمان وثمانين ومائتين (٢٨٨هـ) فنشأ بها، ورحل منها إلى العراق لطلب العلم والتحصيل.

أما سبب تسميته القالي، فهو منسوب إلى قالي قلا ـ بلد من أعمال إرمينية ـ قال القالي عن نفسه: لما انحدرنا إلى بغداد كنا في رفقة كان فيها أهل قالي قلا، وهي قرية من قرى منازجرد، وكانوا يُكرمون لمكانتهم من الثغر، فلما دخلنا بغداد نُسِبتُ إليهم لكوني معهم وثبت ذلك عليّ.

أخذ الأدب عن أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، وأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، ونفطويه(١)، وابن قتيبة(٢) وابن درستويه(٣)، والزجاج، والأخفش الصغير، وأبي بكر محمد بن السري المعروف بابن سرّاج، وغيرهم، وأخذ عنه أبو بكر محمد بن

---

(١) هو أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة العتكي الأزدي المعروف بـ نفطويه، كان عالماً بالعربية واللغة والحديث حافظاً للسير وأيام الناس، والتواريخ، وتوفي في عام ٣٢٣هـ.

(٢) هوأبو جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ولد في بغداد، وتولى القضاء في مصر، وتوفي بها سنة ٣٢٢هـ.

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسي النحوي كان أحد النحاة المشهورين والأدباء المذكورين، أخذ عن ابن قتيبة والمبرد، توفي في سنة ٣٤٧هـ.

www.abulhasanalinadwi.org

الحسين الزبيدي الأندلسي صاحب" مختصر العين".

كان أحفظ أهل زمانه للغة، وأرواهم للشعر، وأعلمهم بعلل النحو على مذهب البصريين، وعدّه المؤرخون إماماً ثبتاً وحجة ثقة، فوصفه الضبي في كتابه"بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس" بقوله:

"كان إماماً في علم اللغة، متقدماً فيها، متقناً لها، فاستفاد الناس منه وعوّلوا عليه، واتخذوه حجة فيما نقله، وكانت كتبه في غاية التقييد والضبط والإتقان".

دخل بغداد في سنة ٣٠٣هـ، وأقام بها إلى سنة ٣٢٨هـ وكتب بها الحديث وسمع من أبي يعلى الموصلي، ثم سافر إلى الأندلس، ودخل قرطبة في ٢٧ شعبان ٣٣٠هـ، واستوطنها وأملى بها كتابه الأمالي، ووضع أكثر كتبه بها، وتوفي بقرطبة.

ووصف المقري مؤلف كتاب"نفح الطيب" الاحتفاء بقدومه في الأندلس، فكتب يقول: " وفد على الأندلس أيام الناصر أمير المؤمنين عبد الرحمن، فأمر ابنه الحكم، وكان يتصرف من أمر أبيه كالوزير، عاملهم ابن رماحس أن يجيء مع أبي علي إلى قرطبة، ويتلقاه في وفد من وجوه رعيته".

مؤلفاته

كتاب" الأمالي" وكتاب"البارع" في اللغة، وكتاب" المقصور والممدود" وكتاب"الإبل ونتاجها" وكتاب" حليّ الإنسان والخيل وشياتها"وكتاب" فعلت وافعلت" وكتاب" مقاتل الفرسان" وكتاب في شرح السبع الطوال.

كتب الأمالي والنوادر

الأمالي جمع الإملاء، وهو أن يقعد عالم وحوله تلامذته

www.abulhasanalinadwi.org

بالمحابر والقراطيس، فيتكلم العالم بما فتح الله سبحانه وتعالى عليه من العلم، ويكتبه التلامذة، فيصير كتاباً ويسمونه الإملاء والأمالي، وكذلك كان السلف من الفقهاء والمحدثين وأهل العربية وغيرها في علومهم.

ومن الأمالي المعروفة في اللغة وقواعدها

- أمالي ابن الحاجب، وهو أبو عمرو عثمان بن عمر النحوي المالكي المتوفى عام ٦٧٢هـ فيها تفسير بعض الآيات وفوائد شتى من النحو.
- أمالي ابن دريد، هو محمد بن أبي بكر اللغوي المتوفى ٣٢١هـ، لخصها السيوطي وسماه" قطف الوريد".
- أمالي ابن الشجري، هو أبو السعادات هبة الله بن علي المتوفى ٥٧٢هـ، وهي في خمسة فنون في ثماني مجلدات.
- أمالي أبي بكر بن الأنباري.
- أمالي ثعلب في النحو.
- أمالي جار الله الزمخشري.
- أمالي الزجاج في النحو.
- أمالي السيد المرتضى في التفسير والحديث والأدب.

شرح الأمالي

شرح كتاب الأمالي للقالي الوزير عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي المكني بأبي عبيد(٤٣٣هـ — ٤٨٧هـ) وكان من أهل اللغة والآداب الواسعة، والمعرفة بمعاني الأشعار والغريب والأنساب والأخبار، وسمى كتابه باللآلي، وعلق على هذا الكتاب الأستاذ عبد العزيز الميمني وسماه بسمط اللآلي، وألف أبو عبيد البكري صاحب

www.abulhasanalinadwi.org

شرح الأمالي كتاباً آخر في التنبيه على ما تصوره من أوهام القالي، وسمى هذا الكتاب التنبيه، والكتاب مطبوع، ورد الشيخ عبد العزيز الميمني على بعض اعتراضات البكري ووصفها بأوهام البكري ودافع عن القالي.

كتاب الأمالي

يقول أبو علي إسماعيل القالي في مقدمة كتابه:

" أما بعد حمد الله والثناء عليه، والصلاة على خير البشر صلى الله عليه وسلم، فإني لما رأيت العلم أنفس بضاعة، أيقنت أن طلبه أفضل تجارة، فاغتربت للرواية، ولزمت العلماء للدراية، ثم أعملت نفسي في جمعه، وشغلت ذهني بحفظه، حتى حويت خطيره، وأحرزت رفيعه، ورويت جليله، وعرفت دقيقه، وعقلت شارده، ورويت نادره، وعلمت غامضه، ووعيت واضحه، ثم صنته بالكتمان عمن لا يعرف مقداره، ونزّهته عن الإذاعة عند من يجهل مكانه، وجعلت غرضي أن أودعه من يستحقه، وأبديه لمن يعلم فضله".

ثم يقول:

"ومكثت دهراً أطلب لإذاعته مكاناً، وبقيت مدة ابتغى له مشرفاً، وأقمت زمناً أرتاد له مشترياً، حتى تواترت الأنباء المتفقة، وتتابعت الصفات الملتئمة التي لا تخالجها الشكوك، ولا تمازجها الظنون، بأن مشرفه في عصره أفضل من ملك الورى، وأكرم من جاد باللهى، وأجود من تعمم وارتدى، وأمجد من ركب ومشي، وأسود من أمر ونهى، سمام العدى، فياض الندى، ماضي العزيمة، مهذب الخليقة، محكم الرأي، صادق الوأي، بذال الأموال، محقق الآمال، ومفشي المواهب أمير المؤمنين، ابن عم خاتم النبيين محمد صلى الله

www.abulhasanalinadwi.org

عليه وسلم عبد الرحمن بن محمد".

وبعد ذكر محامد عبد الرحمن بن محمد يقول:

"فأمليت هذا الكتاب من حفظي في الأخمسة بقرطبة، وفي المسجد الجامع بالزهراء المباركة، وأودعته فنوناً من الأخبار، وضروباً من الأشعار، وأنواعاً من الأمثال، وغرائب من اللغات، على أني لم أذكر فيه باباً من اللغة إلا أشبعته، ولاضرباً من الشعر إلا اخترته، ولا فناً من الخبر إلا انتخلته، ولا نوعاً من المعاني والمثل إلا استجدته، ثم لم أخلِ من غريب القرآن، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم".

وتفيد هذه القطعة بأن الإمام القالي أملى هذه النصوص وشرحها من ذاكرته، ونسب أماليه إلى أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد الناصر في قرطبة.

قال أبو محمد بن حزم:

" كتاب نوادر أبي علي مبار لكتاب الكامل الذي جمعه المبرد، ولئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحواً وخبراً، فإن كتاب أبي علي أكثر لغة وشعراً".

رأي العلامة عبد العزيز الميمني

يرى العلامة عبد العزيز الراجكوتي الميمني الذي شرح اللآلي أن الأمالي والنوادر وذيل الأمالي شيء واحد.

يقول: إن ناشري الطبعة الثانية لم ينتبهوا لهذا كسلفهم، فعدوا الأمالي والذيل والنوادر كتباً ثلاثة برأسها، ويقول: ٦٨ صفحة ألحقوها بآخر الأمالي كيف تبارى الكامل للمبرد، واستشهد الأستاذ الميمني بما كتبه ياقوت في معجم الأدباء في ترجمة القالي: فيقول: " كتاب الأمالي معروف بين الناس كثير الفوائد غاية في معناه، قال

www.abulhasanalinadwi.org

أبومحمد ابن حزم : كتاب نوادر أبي علي مبار للكتاب الكامل" فيرى ياقوت أنه شيء واحد(١).

يقول أبو بكر بن خير:

"كتاب النوادر لأبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي أملى جله أبو علي رحمه الله في الأخمسة بالزهراء على بني الملوك وغيرهم من أهل قرطبة، ثم زاد فيه فبلغ سبعة عشرة جزءاً للعامة، ثم زاد فيه فبلغه عشرين جزءاً لأمير المؤمنين...."(٢).

ولعل هذه الزيادات حسبها الكتاب كتباً مختلفة.

يقول المحقق الكبير الأستاذ أبو محفوظ الكريم معصومي :

" لا غرو أن أبا علي إسماعيل بن القاسم البغدادي المنازجردي الشهير بالقالي (٢٨٨- ٣٥٦هـ) من أعيان الطراز الأول، قد انتهت إليه روائع اللغة العربية وجمهرة آدابها المغربلة منذ بدء الصدر الأول إلى جيل شيوخه الفحول أبي بكر بن دريد وابن الأنباري وابن درستويه ونفطويه وأمثالهم من أقطاب اللغة والأدب الذين تخرج عليهم، فجاء أحفظ أقرانه لصنوف الأدب واللغة والشعر، وأوعاهم للنحو وخاصة لمذهب البصريين، وكتاب"الأمالي والنوادر" من مؤلفاته معدود في فرائد الأدب العربي، لما احتوى عليه من النوادر الغريبة والغرائب النادرة، وتفاريق أخبار العرب في الجاهلية والإسلام وما إليها من الأمثال والخطب و محبرات القصائد والأراجيز القصار والطوال ومقلدات الأبيات والأناشيد، لقد تسنى له أن يؤلف كتابه الحافل هذا، بطريقة الإملاء من حفظه على شهود مجالسه الغاصة، وكانت تنعقد على مواعيدها، تارة في الأخمسة، "بقرطبة" عاصمة

(١) بحوث وتحقيقات/العلامة عبد العزيز الميمني، الجزء الأول، ص: ٢٦

(٢) بحوث وتحقيقات/العلامة عبد العزيز الميمني، الجزء الأول، ص: ٢٨

www.abulhasanalinadwi.org

الفردوس المفقود، وتارة أخرى في المسجد الجامع بشقيقتها الأنيقة مدينة" الزهراء" الباهرة، وذلك في أيام كبير الخلفاء إذ ذاك وأقواهم بلا مدافع عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله، ووشحه باسم ولي عهده الجهبذ المثقف الحكم الثاني المستنصر.

اللآلي شرح الأمالي

ويقول

إن هذا الكتاب الفذ، قيض الله لشرحه الوزير الخطير أبا عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري (ت ٤٨٧هـ) أحد مفاخر الأندلس وفحول أعلامها في القرن الخامس للهجرة، فجاء يساير القالي في مضماره ويجاريه بصدد كل نقير وقطمير في مجاريه، دون تعب يعييه و نصب يضنيه، وقد لعمري عاش نسيج وحده في الفنون الأدبية، كما استمر منقطع القرين في حقله، ومن أمعن النظر ـ على الأقل ـ في كتابيه: اللآلي في شرح أمالي القالي، ومعجم ما استعجم من أسماء الأمكنة والبقاع، لأقر بأنه ذو اليمينين فضلاً عما عرف به من الجمع بين الرياستين.

أما كتابه اللآلي فهو من أبدع ما انحدر إلينا من بقايا كتب التراث الأندلسي، وقد سنح لمؤلفه في غير ما مكان أن يعارض القالي ولا يتلعثم في النقض والانتقاد عليه بصدد لفظة أو معنى، وهذه المؤاخذات على علاتها حقيقة بالدراسة وجديرة بالاعتبار.

سمط اللآلي

ويقول الأستاذ معصومي:

" ثم قضى الله سبحانه أن يغوص على أسلاك اللآلي البكرية والأندلسية أحد المحققين الأفذاذ والباحثين الكبار فيستخرجها من

www.abulhasanalinadwi.org

أسقاطها بل من مغاصها، ويحلي مقلد الفصحى العاطل بسمطها، وهو علامة بلاد الهند النقابة الكبير الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي، وقد عاش ـ رحمه الله ـ أو حدي المناقب في اللغة العربية وصنوف آدابها الجمة قلما شاركه في أوانه بالهند وخارجها مشارك في هذا الحقل، وله أياد بيض لا يكاد الزمان يسحب عليها ذيل النسيان، و"سمط اللآلي" من بينها الغرة الشادخة في جبهة فضائله الناصعة الباهرة، وكم غرر أطلت على الأوساط الثقافية العربية من طوايا حصائله الواسعة الزاهرة، ومن آيات فضله السنية مناقشاته مع البكري في خصوص مآخذه على القالي كما يمر بها القارئ في أماكنها من"السمط" المفصل بالفصوص الزاهية واليواقيت الباهية"(١).

الأدباء الذين أخذ عنهم القالي وذكرهم في كتابه :

ابن دريد

أبو بكر محمد بن الحسن(٢٢٣-٣٢١هـ) ولد في البصرة، ونشأ فيها، وأخذ العلم عن أبي حاتم السجستاني، وأبي عثمان الأشناندي وغيرهما من الأدباء، وهو من علماء اللغة البارعين والنقاد والشعراء، أخذ العلم عنه جماعة من المشاهير منهم السيرافي، والمرزباني، والأصفهاني، والقالي، والزجاجي، وابن خالويه، وأعظم كتبه "كتاب الجمهرة"، و"أدب الكاتب"، و"غريب القرآن"، و"ديوان شعر"، و"كتاب الاشتقاق".

ابن الأنباري:

أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار، ولد في بغداد (٢٧١-

(١) بحوث وتبيهات/الباحث المحقق أبو محفوظ الكريم معصومي، السفر الثاني، ص: ٧٠١-٧٠٣.

www.abulhasanalinadwi.org

٣٢٧هـ) وأخذ العلم عن أبيه القاسم بن محمد وثعلب، تصدى للتعليم باكراً، فكان يملي هو في جانب من المسجد ويملي أبوه في جانب آخر.

وابن الأنباري أديب عالم باللغة، والنحو، والتفسير، والحديث، جامع لأخبار الناس، ثقة فيما يروي، وله مؤلفات ككتاب المشكل في معاني القرآن، كتاب الرد على من خالف هجاء مصحف عثمان، كتاب الوقف والابتداء، كتاب الزاهر، كتاب أدب الكاتب، كتاب الجاهليات، شرح المفضليات، كتاب المجلس(الأمالي) شروح لشعر الأعشى وزهير وراعي الإبل، وكتاب الأضداد، ودقائق التصريف، وكتاب الواضح في النحو.

منهج القالي في عرض النصوص وشرحها

بدأ القالي أماليه بآية من القرآن الكريم ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾ يقول: قرأ أبو عمرو بن العلاء هذه الآية: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾ على معنى أو نؤخرها، والعرب تقول نسأ الله في أجلك، وأنسأ الله أجلك، أي أخر الله أجلك، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من سره النَسَاء في الأجل والسعة في الرزق فليصل رحمه"والنساء: التأخير، يقال بعته بنساء وبنسيئة، أي بتأخير".

قال أبو بكر بن الأنباري:

"إنهم كانوا إذا صدروا عن منى قام رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة، فقال: أنا الذي لا أعاب، ولا يرد لي قضاء، فيقولون له: أنسئنا شهراً، أي أخر عنا حرمة المحرم فاجعلها في صفر، وذلك أنهم كانوا يكرهون أن تتوالي عليهم ثلاثة أشهر لا تمكنهم الإغارة فيها، لأن معاشهم كان من الإغارة، فيحل لهم المحرم، ويحرم عليهم صفراً، فإذا كان في السنة المقبلة حرم عليهم المحرم وأحل لهم صفراً،

www.abulhasanalinadwi.org

فقال الله تعالى: ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾ وقال الشاعر:

ألسنا الناسئين على معد شهور الحل نجعلها حراما

قال أبو بكر بن الأنباري رحمه الله: معنى قوله عزوجل: ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾ أي في معنى القول، وفي مذهب القول، وأنشد للقتال الكلابي:

وقد لحنت لكم لكيما تفهموا ووحيت وحياً ليس بالمرتاب

معناه: ولقد بينت لكم، واللحن بفتح الحاء: الفطنة، وربما أسكنوا الحاء في الفطنة، ورجل لِحن أي فطن، قال لبيد يصف كاتباً:

متعهود لحِن يعيد بكفه قلما على عُسُب ذبلن وبان

ومن اللحن الحديث الذي يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلين اختصما إليه في مواريث وأشياء قد درست، فقال عليه السلام: لعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته من الآخر، فمن قضيت له بشيء من حق لأخيه فإنما أقطع له قطعة من النار" فقال كل واحد من الرجلين: يا رسول الله، حقي هذا لصاحبي، ومنه قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله: عجبت لمن لاحن الناس كيف لا يعرف جوامع الكلم! أي فاطنهم.

وقال ابن الأعرابي، لحن الرجل يلحن لحناً فهو لاحن إذا أخطأ، ولحن يلحن لحناً وهو لحنٌ، أصاب وفِطن، وأنشد:

وحديث ألذه هو مما تشتهيه النفوس يوزن وزنا

منطق صائب وتلحن أحياناً وخير الحديث ما كان لحنا

معناه: وتصيب أحياناً.

واللحن: اللغة، ذكره الأصمعي وأبو زيد، ومنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " تعلّموا الفرائض والسنن واللحن كما

www.abulhasanalinadwi.org

تعلمون القرآن" .

فاللحن : اللغة.

ويرى ابن دريد اللحن إزالة اللفظ عن جهته، ويفهمه المتكلم، ولا يفهم المخاطب.

قال أبو علي : ومعنى قوله عزوجل ﴿وغدوا على حرد قادرين﴾ أي على قصد، قال الجميح :

أما إذا حردت حردي فمجرية
ضبطاء تسكن غيلاً غير مقروب

أي قصدت قصدي، وقال الآخر :

أقبل سيل جاء من أمر الله يحرد حَرد الجنة المغلّه

أي يقصد قصدها، وقال أبو عبيدة : معنى قوله(على حرد) أي على غضب وحقد، وأجاز ما ذكرناه، قال : ويجوز أن يكون (على حرد) معناه : على منع، واحتج بقول العباس بن مرداس السلمي :

وحارب فإن مولاك حارد نصره ففي السيف مولي نصره لا يحارد

وحارد عندي في هذا البيت بمعنى قلّ، يقال : حاردت الإبل إذا قلت ألبانها، قال الكميت :

وحاردت النُكْدُ الجلادُ ولم يكن لعقبة قدر المستعيرين مُعقِب

ويقال : حرد الرجل حرداً بفتح الراء، ومن العرب من يقول : حرد الرجل حَرْداً بتسكين الراء إذا غضب، وأنشد أبو عبيدة للأشهب ابن رميلة :

أسود شرى لاقت أسود خفية تساقوا على حرد دماء الأساود

وبعد ذلك ينتقل أبو على القالي إلى شرح غريب الأحاديث

www.abulhasanalinadwi.org

فيقول: قرئ على أبي بكر يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول الأزرق في مسجد الرُصافة وأنا أسمع، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أحرم ما بين لابتي المدينة أن يقطع عضاهها أو يقتل صيدها.. .. ... " قال أبو علي: اللابة واللُوبة: الحرة، فمن قال: لابة، قال في جمعها: لاب، ومن قال لُوبة، قال في الجمع: لُوب، قال سلامة بن جندل:

حتى تركنا وما تثنى ظعائننا يأخذن بين سواد الخط فاللوب

والعضاه: كل شجر له شوك يعظم، والواحدة عضة، قال الراعي:

وخادع المجد أقوام لهم ورق راح العضاه به والعرق مدخول

فروق المعاني

قال أبو عمرو: ما ينوض بحاجة وما يقدر على أن ينوص أي يتحرك، ومنه قوله تعالى: ﴿ولات حين مناص﴾ ومناص ومناض واحد، ويقال انقاض وانقاص بمعنى واحد، وقال الأصمعي: المنقاض: المنقعر من أصله، والمنقاص: المنشق طولاً، وقال الأصمعي: مضمض لسانه ومصمصه إذا حركه، وقد قال حدثنا عيسي بن عمر قال: سألت ذا الرمة عن النضناض فأخرج لسانه وحرّكه، وقال اللحياني: يقال: تصافوا على الماء، وتضافوا، ويقال: صلاصل الماء وضلاضله لبقاياه، وقبضت قبضة وقبصت قبصة، ويقال: إن القبصة أقل من القبضة، ويقول الآخر: القبص بأطراف الأصابع، والقبض بالكف كلها، وتضوك وتصوك، وقال أبو عبيدة: يقال: صاف السهم وضاف إذا عدل عن الهدف، وتضيفت الشمس للغروب، وتصيفت إذا مالت ودنت من الغروب، ومنه اشتق

www.abulhasanalinadwi.org

الضيف، يقال: ضافني الأجل إذا دنا منك ونزل بك.

وقال الأصمعي: جاص، وجاض أي عدل، وقال اللحياني: يقال إنه لصل أصلال، وصل أضلال، ويقال ضل اضلال، وقال أبو بكر بن دريد: يقال للرجل إذا كان داهية لصل أصلال، وقال أبو علي: الصلّ الحية التي تقتل إذا نهشت من ساعتها، وقال الأصمعي: يقال مصمص إناءه، ومضمضه إذا غسله.

وقال أبو زيد: يقال رتمت أرتم رتماً، وحطمت حطماً، وكسرت أكسر كسرا، دققت أدق دقا، هؤلاء الأربع للكسر، ويقال رضضت أرض رضا، وفضضت أفض فضاً، رفضت أرفض رفضاً، هؤلاء الثلاث في الكسر سواء، وهرست أهرس هرساً، إذا دققت الشيء في المهراس، والهرس والوهس دقُك الشيء وبينه وبين الأرض وقاية، ومثله نخرت أنخر نخراً، وقال أبو علي: ومنه المنخار وهو الهاون، وسحق يسحق سحقاً، وهو أشد الدق تدقيقاً، وسحقت الأرض الريح إذا عفت الآثار وأسفت التراب، وانسحق الثوب انسحاقاً إذا سقط زئيره وهو جديد، وسهكت تسهك سهكاً، والريح تسهك التراب كما تسحق، ورهك يرهك رهكاً، وجش يجش جشاً، فالرهك ما جش بين حجرين، والجش ما طحن بالرحيين، والشيء جشيش ومجشوش، وطحنت أطحن طحناً، والطحن بالكسر الدقيق، ورضخت أرضخ رضخاً، وشدخت أشدح شدخاً، وفدغت أفدغ فدغاً، وثلغت أثلغ ثلغاً، وثمغت أثمغ ثمغاً، هؤلاء الخمس في الرطب، ويقال: رضخت النوى رضخاً، ورضضته، ويقال للحجر الذي يرض به: المرضاخ، والرضخة: النواة التي تطير من تحت الحجر، ويقال: غضف يغضف غضفاً، وخضد يخضد خضداً، وغرض يغرض غرضاً، وهؤلاء الثلاث للكسر في الرطب واليابس وهو الكسر

www.abulhasanalinadwi.org

الذي لم يبن، وقصمت أقصم قصما، وفصمت أفصم فصما، وعفت أعفت عفتاً، هؤلاء للكسر الذي ليس فيه ارفضاض في رطب أو يابس، وهشمت أهشم هشماً للكسر اليابس، مثل العظم والرأس وتمت الكسر تتميماً، إذا عنت فأبنته ووقرت العظم أقره إذا صدّعته والوقر: الصدع في العظم.

وقال الأصمعي: قرضمته قرضمةً كسرته وقال: وهسته هوساً كسرته وأنشد:

إن لنا هوّاسة عِربضا

وقال الكسائي: وقصت عنقه كسرتها، وأصرته أصره أصراً كسرته، والأصر: العطف، والصور مصدر صرته إذا أملته، ويقال للمائل العنق أصور، وقرئ﴿فصُرهن إليك﴾ أي أملهن ومن قرأ ﴿وصِرهُن إليك﴾ معناه قطعهن، ووطست كسرت، قال عنترة:

تطس الإكام بذات خف ميثم

ووقص ووهص، كسر.

بعض العناوين البارزة في الكتاب

- شذرة من أمثال العرب.
- ما تلحقه العرب بآخر الكلمة في الاستفهام الإنكاري
- حكم الأعراب
- الكلمات التي تتعاقب فيها الفاء والتاء والصاد والضاد واللام والنون والميم والياء والهمزة والهاء.
- وصايا العرب.
- ما تتعاقب فيه اللام والراء، والصاد، والطاء، والهاء والخاء.

www.abulhasanalinadwi.org

- عيون من كلام البلغاء.
- الكلام على أنواع القداح.
- مختارات من الشعر الجيد.
- أسماء القدح.

وذلك بالإضافة إلى أخبار وأشعار وحكايات، ونوادر يشرحها القالي إذا كانت تشتمل على ألفاظ غريبة، ويتركها من غير شرح إذا كانت سهلة مفهومة، وهي كثيرة في الكتاب ومنتشرة.

يشتمل ذيل الأمالي والنوادر على البحوث الآتية:

- مطلب شرح مادة غمر.
- مطلب قصيدة أبي بكر بن دريد.
- مطلب ما دار بين أبي عمرو بن العلاء والأعراب.
- مطلب تفسير قوله تعالى ﴿ فاليوم ننجيك ببدنك﴾.
- مطلب حمقى العرب.
- مبحث أيمان العرب.
- مبحث دعاء العرب.
- ما تعبر به العرب من أسماء الداهية.
- حديث بعض العشاق.
- ما دار بين متمم بن نويرة وعمر رضي الله عنه.
- مطلب ما في الفرس من أسماء الطير.

مصادر الأمالي

يتضح من نظرة خاطفة على الأمالي أن القالي في معظم رواياته يعتمد على ما رواه ابن دريد، وابن الأنباري، كما ينقل روايات من الأصمعي، وثعلب، والمبرد بسند وبدون سند.

www.abulhasanalinadwi.org

ويشتمل كتاب النوادر على علميته وأدبيته كقوله:

"حدثنا أبو بكر بن الأنباري رحمه الله تعالى قال حدثنا أبوعلي الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا علي بن بن الصباح قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا هشام بن محمد أبو السائب المخزومي عن هشام بن عروة عن أبيه عن السكن بن سعيد عن النعمان بن بشير قال: استعملني معاوية رضي الله عنه على صدقات بُلّى وعُذرة فإني لفي بعض مياههم إذا أنا ببيت منحرد ناحية، وإذا بفنائه رجل مستلق وعنده امرأة وهو يقول ويتغنى بهذه الأبيات:

جعلت لعرّاف اليمامة حكمه ... وعرّاف نجد إن هما شفياني

فقالا نعم نشفي من الداء كله ... وقاما مع العواد يبتدران

فما تركا من رقية ... ولا سلوة إلا وقد سقياني

فقالا شفاك الله وما لنا ... بما حُمِّلت منك الضلوع يدان

ويبحث القالي بعد ذلك نسبة هذه الأبيات إلى عروة بن حزام قتيل الحب، واختلاف الناس في الرواية.

ويذكر القالي بعض الأقوال بدون سند، فيقول قال أبو العباس ثعلب: سميت العنزة عنزة من قولهم: اعتنز الرجل إذا تنحى، وذلك أن الإمام يجعلها بين يديه إذا صلى ويقف دونها فتكون ناحية عنه، وقال: سميت الحربة حربة من قولهم: حربته إذا أحميته، وأغضبته لأنها حادة ماضية، والعترة: أقرب أهل الرجل، ومنه عترة الرسول، ومعناه الحركة، والعتيرة الذبيحة التي كانت تذبح في الجاهلية في رجب، وسمى عنترة، عنترة لتحركه في الحرب، وتصرفه وأخذه في كل وجه وناحية.

وقال: وقول العامة: فلان قرابة فلان محال، إنما كلام العرب

www.abulhasanalinadwi.org

أن يقال هذا قريب فلان، وهؤلاء أقارب فلان وأقرباؤه، ويقال: فلان سراب بقيعة أي لا يحصل منه على شيء، وشراب بأنقع أي حازم كامل، ويقال السفينة من سفنته إذا قشرته كأنها تقشر الماء، وقال: قال أبو العباس: العهدة: أول مطرة، والرصدة: الثانية، فتلك أول ما عهدت الأرض، وهذه ترصد تلك، ويقال نحن ننتظر الرصدة، قال: أشعلت الدموع: كثرت فتفرقت، وكتيبة مشعلة، أي كثيرة متفرقة، ويقال: أشعل السلطان جماعة في طلبه، أي فرقهم، وسمى اللص لصا لأنه يجمع نُفسه، ويضائل شخصه ليستتر بذلك، وهو من قولهم: لصصت أضراسه إذا اجتمعت وتلاصقت، وقال امرؤ القيس يصف كلباً:

ألص الضروس حني الضلوع تَبُوْعٌ طَلُوْبٌ نشيط أشِر

قال: الطيار من قولهم الطيران، والملاح من الملح لشظف عيشه وخشونة مطعمه، قال: النهار عند العرب: من طلوع الشمس إلى غروبها، وما عدا ذلك فهو عندهم ليل مما تقدم أو تأخر، قال: والممرد: الأملس، ومنه الأمرد للين خديه، وشجرة مرداء: لا ورق لها، ومرداء وملساء واحد، قال: يقال أحولنا في هذا المكان، وأعومنا أيضاً وأسنهنا وأشهرنا وأيومنا وأسوعنا، ويقال: أطلى الرجل إذا مالت عنقه للنوم، وأطلنا حتى أطلينا أي قعدنا حتى نعسنا، ومن أطال أطلى أي من قعد نعس، ويقال: أخلد إلى الأمر أسكن إليه وأقام عليه، وخلد عليه شبابه أي بقي عليه شبابه وسواد شعره.

وقال: الشاكلة: الطريقة والشاكلة: الناحية، وشاكلة الجدي: خاصرته، لأنها ناحية منه، وقال: أمطرت السماء إذا قطرت، ومطرت: سالت: وفي خضم شرح اللغات يأتي بقصص ونكت كقوله:

"جاء رجل إلى علي كرم الله وجهه فقال: يا أمير المؤمنين، ما

www.abulhasanalinadwi.org

الإيمان؟ أو قال: كيف الإيمان؟ فقال: " الإيمان على أربع دعائم، على الصبر، واليقين، والعدل، والجهاد، والصبر على أربع شعب: على الشوق، والشفق، والزهادة، والترقب، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن زهد في الدنيا تهاون بالمصيبات.

واليقين على أربع شعب: على تبصرة الفطنة، وتأويل الحكمة وموعظة العبرة، وسنة الأولين، فمن تبصر الفطنة تأوّل الحكمة، ومن تأول الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة، فكأنما كان في الأولين.

والعدل على أربع شعب: على غامض الفهم، وزهرة الحلم، وروضة العلم، وشرائع الحكم، فمن فهم فسر جميع العلم، ومن علم عرف شرائع الحكم، ومن حلم لن يفرط أمره، وعاش في الناس.

والجهاد على أربع شعب: على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن، وشنآن الفاسقين، فمن أمر بالمعروف شدّ ظهر المؤمن، ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق، ومن صدق في المواطن فقد قضى الذي عليه، ومن شنئ الفاسقين فقد غضب لله، ومن غضب لله غضب الله له، قال: فقام الرجل فقبّل رأسه، فقال علي كرم الله وجهه: أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما".

وينتهي كتاب النوادر بقصة جعفر المنصور مع رجل من أهل الشام يوصيه وآخر ما ذكره الشعر الآتي:

كن حيِّيا إذا خلوت بذنب ... واحذر السخط من علا مجيد

ويك بارزت من يراك عتوا ... وتواريت عن عيون العبيد

وبحلمِ الإله عدت إلى الذنب ... ولم تخش غب يوم الوعيد

أقرأت القرآن أم لست تدري ... أن ذا العرش دون حبل الوريد

www.abulhasanalinadwi.org

كتاب التنبيه

يقول الإمام اللغوي أبو عبيد البكري في كتاب التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه:

"هذا كتاب نبهت فيه على أوهام أبي علي رحمه الله في أماليه، تنبيه المنصف لا المتعسف ولا المعاند، محتجاً على جميع ذلك بالشاهد والدليل".

ويقول:

"أبو علي رحمه الله من الحفظ وسعة العلم والنبل، ومن الثقة في الضبط والنقل بالمحل الذي لا يجهل، وبحيث يقصر عنه من الثناء الأحفل، ولكن البشر غير معصومين من الزلل، ولا مبرئين من الوهم، والخطل، والعالم من عدّت هفواته وأحصيت سقطاته".

كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

نماذج من تنبيهاته

أنشد أبو علي أشعاراً منها قول بُرَيْه بن النعمان ولم ينسبه:

لقد تركت فؤادك مُسْتَحِنًّا
مطوقة على فنن تغنى
يميل بها وتركبه بلحن
إذا ما عنَّ للمحزون أنَّا

وفسّر ما ورد في هذه الأشعار من ألحان الحمام أن المراد به اللغات، وإنما المراد به اللحن الذي هو ضرب من الأصوات المصوغة

www.abulhasanalinadwi.org

للتغني، وإنما أراد ذات ألوان من الترجيع.

وأنشد أبو علي[ص: ١٨-١٩] شاهداً على أن الحنة الزوجة

ما أنت بالحنة الودود ولا عندك خير يرجى لملتمس

وإنما هو : ما أنت بالحنة الولود، قال أبوعبيدة: تزوج قتادة اليشكري أرنب الحنفية فلم تلد له ونشزت عليه فطلقها وقال:

تجهزي للطلاق واصطبري ذاك دواء الجوامس الشُمُس

ما أنت بالحنة الولود ولا عندك خير يرجى لملتمس

وفي [ص: ١٩- ٢٣] أنشد أبو علي للأجدع الهمذاني:

وسألتني بركائبي ورحالها ونسيت قتل فوارس الأرباع

إنما هو: أسألتني بالهمزة، لا بالواو كما أنشده، وهو أول الشعر، بركائب منوّن، لا بركائبي، لأنها إنما سألته عن إبل القوم وركائبهم لا عن ركائب نفسه، وفي [ص: ٤- ٣١] أنشد أبو علي لأعرابي:

إذا وجدت أوار الحب في كبدي أقبلت نحو سقاء القوم أبترد

هذا بردت ببرد الماء طاهره فمن لنار على الأحشاء تتقد

لم يختلف أحد أن هذين البيتين لعروة بن أذينه، الفقية المحدث.

يقول البكري: أبو علي إذا جهل قائل شعر نسبه إلى أعرابي كما أنشد:

وإني لأهواها وأهوى لقاءها كما يشتهي الصادي الشراب المبردّا

وهذا الشعر للأحوص بن محمد، شاعر إسلامي من شعراء المدينة، لم يدخل البادية قط، ولهذا الشعر خير معروف.

ويدور التنبيه حول نسبة بعض الأشعار، والاشتباه في بعض الأبيات، ومعاني بعض الألفاظ، وذلك محتمل، كما قال البكري البشر يخطئون وكذلك يمكن أن يكون البكري أيضاً في وهم في بعض تنبيهاته.

www.abulhasanalinadwi.org

القسم الثاني

مصادر الأدب: ٥

كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني

www.abulhasanalinadwi.org

كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني

أبو الفرج الأصفهاني ٢٨٤- ٣٥٣هـ

هو علي بن الحسين بن محمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان ابن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان ابن الحكم المعروف بأبي الفرج الأصفهاني.

كان أصفهاني الأصل، بغدادي المنشأ، وفي أعيان أدبائها وأفذاذ مصنفيها، روى عن كثير من العلماء، وكان عالماً بأيام الناس، والأنساب والسير.

قال التنوخي: "ومن المتشيعين الذين شاهدناهم أبو الفرج الأصفهاني، كان يحفظ من الشعر، والأغاني، والأخبار، والآثار، والأحاديث المسندة، والنسب ما لم أر قط من يحفظ مثله، ويحفظ دون ذلك من علوم أخرى، منها اللغة، والنحو، والخرافات، والسير، والمغازي، ومن آلة المنادمة شيئاً كثيراً، مثل علم الجوارح والبيطرة، ونتف من الطب والأشربة، وغير ذلك، وله شعر يجمع إتقان العلماء، وإحسان ظرفاء الشعراء"[١].

ومن كتبه الأغاني الذي وقع الإتفاق على أنه لم يعمل في بابه مثله، يقال إنه جمعه في خمسين سنة، وحمله إلى سيف الدولة بن

---

[١] نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي (م ٣٨٤هـ) تحقيق: عبود الشالجي المحامي، ص: ١٠/٤، دار صادر،بيروت، ١٩٩٥م.

www.abulhasanalinadwi.org

حمدان، فأعطاه ألف دينار واعتذر إليه، وحُكي عن الصاحب بن عباد أنه كان في أسفاره وتنقلاته يستصحب حمل ثلاثين جملاً من كتب الأدب ليطالعها، فلما وصل إليه كتاب الأغاني لم يكن بعد ذلك يستصحب سواه استغناء به عنها.

وكان يكتب لبني أمية في الأندلس سراً، ويأتي إليه الإنعام منهم سراً (١).

وفي معجم الأدباء: "لم يكن كتاب الأغاني يفارق عضد الدولة في سفره ولا حضره، وإنه كان جليسه الذي يأنس إليه، وخدينه الذي يرتاح نحوه".

وقال: إن هذا الكتاب لجليل القدر، شائع الذكر، جم الفوائد، عظيم العلم، وجامع بين الجد البحت والهزل النحت(٢).

أساتذة الأصفهاني:

أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، أبو بكر محمد بن القاسم محمد بن بشار الأنباري، الفضل بن حباب الجمحي، علي بن سليمان الأخفش، إبراهيم بن نفطويه، محمد بن جرير الطبري، جعفر بن قدامة، وغيرهم.

أخلاقه:

ذكر أبو الحسين هلال بن المحسن الصابي في أخبار الوزير المهلبي: كان أبو الفرج وسخا قذراً، لم يغسل له ثوباً منذ فصّله إلى أن قطعه، وكان الناس على ذلك يحذرون لسانه، ويتقون هجاءه، ويصبرون في مجالسته ومعاشرته ومؤاكلته ومشاربته على كل صعب

---

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، ص: ٣٠٨/٣، دار صادر بيروت.

(٢) معجم الأدباء، المجلد الرابع ص: ٥٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩١م.

www.abulhasanalinadwi.org

من أمره، لأنه كان وسخاً في نفسه، ثم في ثوبه وفعله، حتى إنه لم يكن ينزع دراعة يقطعها إلا بعد إبلائها وتقطيعها، ولا يعرف لشيء من ثيابه غسلاً، ولا يطلب منه في مدة بقائه عوضاً (١).

وذكر القاضي أبو على المحسن بن علي التنوخي في كتابه "نشوار المحاضرة": إن أبا الفرج كان أكولا نهما، وكان إذا ثقل الطعام في معدته تناول خمسة دراهم، فلفلاً مدقوقاً فلا تؤذيه ولا تدمعه(٢).

الأغاني

قال ابن خلدون: وقد ألف القاضي الأصفهاني - وهو ما هو - كتابه في "الأغاني" جمع فيه أخبار العرب، وأشعارهم وأنسابهم، وأيامهم ودولهم، وجعل مبناه على الغناء في المائة صوت التي اختارها المغنون للرشيد فاستوعب فيه ذلك أتم استيعاب، وأوفاه، ولعمري أنه ديوان العرب، وجامع أشتات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر، والتاريخ، والغناء، وسائر الأحوال، ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلمه، وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ويقف عندها، وأنى له بها(٣).

مختصرات الأغاني

صدرت مختصرات عديدة لكتاب الأغاني، منها مختصر الوزير الحسين بن علي بن حسين أبوا لقاسم المعروف بابن المغربي المتوفى سنة ٤١٨هـ.

ومختصر الأمير عز الملك محمد بن عبد الله بن أحمد الحراني

---

(١) معجم الأدباء، المجلد الرابع، ص: ٥٤

(٢) كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخي، ص: ٥٦/٤ .

(٣) مقدمة ابن خلدون. ص: ٢٥٥/٢، تحقيق: أبي عبد الله السعيد المندوه، مكتبة العلا بالشارقة، ومؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

www.abulhasanalinadwi.org

المسبحي الكاتب المتوفى سنة ٤٢٠هـ.

ومختصر أبي القاسم عبد الله المعروف بابن باقيا الكاتب الحلبي المتوفى سنة ٤٨٥هـ.

ومختصر القاضي جمال الدين محمد بن سالم المعروف بابن واصل الحموي المتوفى سنة ٦٩٧هـ.

ومختصر الإمام اللغوي جمال الدين محمد بن المكرم الأنصاري صاحب لسان العرب المتوفى سنة ٧١١هـ سماه مختار الأغاني في الأخبار والتهاني.

واختصر الأغاني الشيخ محمد الخضري بك، حذف فيه الأسانيد وما لم يستحسن ذكره من الفحش والمخل بالأدب، وروى الشعر كما قال الشعراء، لا كما غنى به المغنون ورتب بعض القطع المشوّقة وجعله في القسمين، القسم الأول: الشعراء والثاني المغنون، ورتب الشعراء ثلاث طبقات: طبقة الشعراء الجاهليين، وطبقة الشعراء الإسلاميين، وطبقة الشعراء المحدثين، وجعل المخضرمين بين كل طبقتين، وطبع الكتاب في ثمانية مجلدات(١).

كتب الأغاني

ألف المؤرخون كتب الأغاني قبل أغاني الأصفهاني، منها أغاني إسحاق، والأغاني الكبير، ويشك في نسبه، وأغاني حسن بن موسى، وذكرت هذه الكتب في فهرست ابن نديم.

منهج الأصفهاني:

يقول الأصفهاني في مقدمة كتابه:

"هذا كتاب ألفه علي بن الحسين بن محمد القرشي الكاتب

---

(١) تصدير كتاب الأغاني.

www.abulhasanalinadwi.org

المعروف بالأصبهاني، وجمع فيه ما حضره وأمكنه جمعه من الأغاني العربية قديمها وحديثها، ونسب كل ما ذكره منها إلى قائل شعره، وصانع لحنه، وطريقته من إيقاعه وإصبعه التي ينسب إليها من طريقته، واشتراك إن كان بين المغنين فيه على شرح لذلك، وتلخيص وتفسير للمشكل في غريبه وما لا غنى عن علمه من علل إعرابه وأعاريض شعره التي توصل إلى معرفة تجزئته وقسمة ألحانه".

ولم يستوعب كل ما غني به في هذا الكتاب، ولا أتى بجميعه إذ كان قد أفرد لذلك كتاباً مجرداً من الأخبار ومحتوياً على جميع الغناء المتقدم والمتأخر، واعتمد في هذا الباب على ما وجد لشاعره أو مغنيه، أو السبب الذي من أجله قيل الشعر، أو صنع اللحن خبراً يستفاد ويحسن بذكره ذكر الصوت معه على أقصر ما أمكنه أو أبعده من الحشو والتكثير مما تقل الفائدة فيه، وأتى في كل فصل من ذلك بنتف تشاكله ولمع تليق به، وفقر إذا تأملها قارئها لم يزل متنقلاً بها من فائدة إلى مثلها، ومتصرفاً فيها بين جد وهزل، وآثار وأخبار وسير وأشعار، متصلة بأيام العرب المشهورة وأخبارها المأثورة وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الإسلام تجمل بالمتأدبين معرفتها، وتحتاج الأحداث إلى دراستها.

www.abulhasanalinadwi.org

منهج المؤلف

عدم الترتيب في النصوص وأصحاب النصوص

قال المؤلف : ولعل من يتصفح ذلك ينكر تركنا تصنيفه أبواباً على طرائق الغناء، أو على طبقات المغنين في أزمانهم ومراتبهم، أو على ما غني به من شعر شاعر، والمانع من ذلك والباعث على ما نحوناه علل:

منها: أنا لما جعلنا ابتداءه الثلاثة الأصوات المختارة كان شعراؤها من المتأخرين، وأولهم أبو قطيفة، وليس من الشعراء المعدودين ولا الفحول، ثم عمر بن أبي ربيعة، ثم نصيب، فلما جرى أول الكتاب هذا المجرى، ولم يمكن ترتيب الشعراء فيه، ألحق آخره بأوله، وجعل على حسب ما حضر ذكره، وكذلك سائر المائة الصوت المختارة، فإنها جارية على غير ترتيب الشعراء والمغنين، وليس المغزى في الكتاب ترتيب الطبقات، وإنما المغزى فيه ما ضمنه من ذكر الأغاني بأخبارها، وليس هذا مما يضر فيها.

الباعث على التأليف

ويقول المؤلف: والذي بعثني على تأليفه، أن رئيساً من رؤسائنا كلفني جمعه له، وعرفني أنه بلغه أن الكتاب المنسوب إلى إسحاق مدفوع أن يكون من تأليفه، وهو مع ذلك قليل الفائدة، وأنه شاك في نسبته لأن أكثر أصحاب إسحاق ينكرونه، ولأن ابنه حماداً

www.abulhasanalinadwi.org

أعظم الناس إنكاراً لذلك، وقد لعمري صدق فيما ذكره، وأصاب فيما أنكره.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: سمعت حماداً يقول: ما ألف أبي هذا الكتاب قط ولا رآه، والدليل على ذلك أن أكثر أشعاره المنسوبة التي جمعت فيه إلى ما ذكر معها من الأخبار ما غني فيه أحد قط، وأن أكثر نسبه إلى المغنين خطأ، والذي ألفه أبي من دواوين الغناء يدل على بطلان هذا الكتاب، وإنما وضعه وراق كان لأبي بعد وفاته، سوى الرخصة التي هي أول الكتاب، فإن أبي ـ رحمه الله ـ ألفها لأن أخبارها كلها من روايتنا.

يبدأ الأصفهاني كتابه بقصة معبد

شعر أبي قطيفة من لحن معبد

القصر فالنخل فالجمّاء بينهما ... أشهى إلى القلب من أبواب جيرون

إلى البلاط فما حازت قرائنه ... دور نزحن عن الفحشاء والهون

قد يكتم الناس أسراراً فاعلمها ... ولا ينالون حتى الموت مكنوني

عروضه من أول البسيط، القصر الذي عناه هاهنا: قصر سعيد بن العاص بالعرصة، والنخل الذي عناه: نخل كان لسعيد هناك بين قصره وبين الجماء وهي أرض كانت له، فصار جميع ذلك لمعاوية ابن أبي سفيان بعد وفاة سعيد، ابتاعه من ابنه عمرو باحتمال دينه عنه، ولذلك خبر يذكر بعد، وأبواب جيرون بدمشق، ويروى "حاذت قرائنه" من المحاذاة، والقرائن: دور كانت لبني سعيد بن العاص متلاصقة، وسميت بذلك لاقترانها، ونزحن: بعدن، النازح: البعيد، يقال: نزح نزوحاً، والهون: الهوان، وقال الراجز:

لم يبتذل مثل كريم مكنون ... أبيض ماض كالسنان المسنون

www.abulhasanalinadwi.org

كان يوقي نفسه من الهون

والمكنون: المستور الخفي، وهو مأخوذ من الكنّ.

الشعر لأبي قطيفة المعيطي، والغناء لمعبد، وله فيه لحنان: أحدهما خفيف ثقيل، والآخر ثقيل.

وبعد حل اللغات وشرح اللحن والغناء ينتقل إلى أخبار أبي قطيفة ويذكر ما يتصل به من روايات وقصص، واختلاف الأنساب، وصلته ببني أمية، وما جرى بينه وبين ابن الزبير، وقصة الحرة، وبعض الأحداث التي تتصل ببني أمية.

وبعد قصص وأخبار قطيفة انتقل إلى أخبار معبد المغني، وألحانه وأغانيه الأخرى.

ومن الثلاثة الأصوات المختارة صوت فيه أربعة ألحان من رواية علي بن يحيى.

تشكي الكميت الجرى لما جهدته وبين لو يستطيع أن يتكلما

عروضه من الطويل.

والشعر لعمر بن أبي ربيعة المخزومي والغناء لابن سريح، وبعد شرح الألحان واللغات انتقل إلى أخبار عمر بن ربيعة ونسبه، وتشكل ترجمة عمر بن أبي ربعة كتاباً كاملاً، ثم أخبار ابن سريح.

وكذلك الصوت الثالث وهو نصيب بنفس الترتيب.

والمجلد الثاني يشتمل على أخبار مجنون بني عامر، وعدي بن زيد، والحطيئة، وعبد الرحمن بن أرطاة، وبن ميادة.

والمجلد الثالث يشتمل على تراجم الشعراء، قيس بن الخطيم، وبشار بن برد، وعكاشة العمي.

والمجلد الرابع يشتمل على تراجم أبي العتاهية، وأمية بن أبي

www.abulhasanalinadwi.org

الصلت، وحسان بن ثابت.

والمجلد الخامس يحتوي على تراجم النابغة الجعدي، والهذلي وعبيد الله بن قيس الرقيات، وابن هرمة.

والمجلد السادس يشتمل على تراجم الصمة القشيري، و حماد الراوية، والمرقش الأكبر، والمرقش الأصغر، والأحوص، وأبي ذوئب.

والمجلد السابع يشتمل على تراجم الوليد بن يزيد، ويزيد بن ضبة، وعبد الله بن المخارق، نابغة بني شيبان، وحسين بن الضحاك، وعبد الله بن علقمة.

والمجلد الثامن يحتوي على تراجم جرير، وجميل، وعنترة، وعبد قيس، والأخطل، والعباس بن الأحنف.

والمجلد التاسع: يشتمل على أخبار كثير، وامرئ القيس، والأعشى، والشماخ، وعمر بن عبد العزيز، وعدي بن الرقاع، والفرزدق.

والمجلد العاشر: يشتمل على تراجم دريد بن الصمة، وزهير ابن أبي سلمى، وعبد الله بن المعتز، وعلية بنت المهدي، وعلي بن الجهم.

والمجلد الحادي عشر: يحتوي على تراجم النابغة الذبياني، والحارث بن حلزة، وأوس بن حجر، وعمر بن أبي ربيعة.

والمجلد الثاني عشر: يشتمل على أخبار الأعشى، والطرماح، ومعن بن أوس، وشبيب بن البرصاء، وأبي الأسود الدؤلي، وعبد الله بن معاوية.

والمجلد الثالث عشر: يشتمل على تراجم الأسود بن يعفر، وأرطاة بن زفر، ومطيع بن إياس.

www.abulhasanalinadwi.org

والمجلد الرابع عشر: يشتمل على أخبار قيس بن عاصم، ومحمد ابن حازم، وعبد الله بن الزبير، والعباس بن مرداس، وحماد عجرد.

والمجلد الخامس عشر: يحتوي على أخبار عدي بن نوفل، والخنساء، وحسان بن ثابت، وجبله بن الأيهم، وعبد الله بن الزبعرى ابن قيس، وقس بن ساعدة، وعمرو بن معديكرب الزبيدي، ومتمم ابن نويرة، ولبيد بن ربيعة، وزيادة الأعاجم.

والمجلد السادس عشر: يحتوي على تراجم الحسين بن مطير، والنعمان بن بشير، والمغيرة بن شعبة، والحسين بن علي، وسكينة بنت الحسين، وكعب بن مالك الأنصاري، والرقاشي، وربيعة الرقي، وحبيب بن أوس (أبو تمام).

والمجلد السابع عشر: يحتوي على أخبار الكميت، وكعب بن زهير، وابن الدمينة، وعمر بن أبي ربيعة، وحرب داحس والغبراء، ويزيد بن معاوية، وزيد الخيل، وأمية بن الصلت، الحطيئة مع سعيد ابن العاص، وابن قيس الرقيات، وأبي عطاء السندي، وحاتم.

والمجلد الثامن عشر يحتوي على تراجم ذي الرمة، ووالبة بن الحباب، والأعشى، والمؤمل بن جميل، وعمرو بن قميئة، وابن مفرغ.

والمجلد التاسع عشر يحتوي على أخبار أبي محجن، ومسلم الوليد، وسلم الخاسر، ومصعب بن الزبير.

والمجلد العشرون: يشتمل على تراجم أبي نواس، ودعبل بن علي السري بن عبد الرحمن، ومسكين (ربيعة بن عامر) سلمة بن عياش، ورؤبة، والسليك بن السلكة.

والمجلد الحادي والعشرون: يشتمل على أخبار المنخل، وأمية ابن الأسكر، والبحتري، وتأبط شرا، والشنفرى، وعلقمة، وأبي خراش الهذلي، والفرزدق.

www.abulhasanalinadwi.org

والمجلد الثاني والعشرون: يحتوي على تراجم ربيعة بن مقروم، والكميت بن المعروف، وأبي حزابة، ولقيط.

والمجلد الثالث والعشرون: يشتمل على أخبار نصيب الأصغر، ويوسف بن الحجاج، والحسن بن وهب، وعلي بن أمية، وسليمان ابن وهب.

والمجلد الرابع والعشرون: يحتوي على أخبار عبد الله بن أبي العلاء، والقطامي، ووقعة ذي قار، وأبي صخر الهذلي، والقتال، والراعي، والمتلمس، وعروة بن حزام.

والمجلد الخامس والعشرون: يشتمل على ترجمة أبي نواس الحسن بن هاني.

نقد الكتاب

قال ياقوت في معجمه: وقد تأملت هذا الكتاب، وعنيت به، وطالعته مراراً، وكتبت من نسخة بخطي في عشر مجلدات، ونقلت منه إلى كتابي الموسوم بأخبار الشعراء، فأكثرت، وجمعت تراجمه فوجدته يَعِدُ بشيء، ولا يفي به في غير موضع منه، كقوله في أخبار أبي العتاهية: وقد طالت أخباره هاهنا، وسنذكر خبره مع عتبة في موضع آخر، ولم يفعل، وقال في موضع آخر: أخبار أبي نواس مع جنان إذا كانت سائر أخباره قد تقدمت، ولم يتقدم شيء، إلى أشباه لذلك، والأصوات المائة هي تسعة وتسعون، وما أظن إلا أن الكتاب قد سقط منه شيء أو يكون النسيان قد غلب عليه والله أعلم(١).

المحترفون بالأدب والتاريخ في القرن الرابع.

نشأ في القرن الرابع عدد من الكتاب يكتبون بما لا ترضى به

---

(١) معجم الأدباء، المجلد الرابع: ٥٢.

www.abulhasanalinadwi.org

عقولهم، وغيَّر بعضهم ولاءهم، واختاروا مذهب حكام عصرهم، وحاولوا أن يمثلوا وجهة نظرهم في كتاباتهم، وأن يصوروا التاريخ كما ينظر إليه الحكام، وقلوبهم مليئة بنزعة الانتقام من السنة، ومن ساند السنة من الحكام والأمراء، وكان من الكتاب الذين ظهر في كتاباتهم هذا الاتجاه الجديد، أبو الفرج الأصفهاني الذي كان أموياً، فاختار الشيعة بتأثير الجو، والمسعودي المؤرخ الكبير الذي تعتبر كتبه نواة كتابة التاريخ.

كان من نتيجة هذا التطور الفكري أن خضع الأدب والتاريخ للنزعة الشيعية والتكسب معاً التي تلاحظ غالبة على ما كتبه الأصفهاني، وساعدت طبيعة الأصفهان الخاصة على هذا الاتجاه.

وإذا ألقينا نظرة على الخلفية التي وضع فيها الأصفهاني كتابه المعروف، والعوامل الاجتماعية والسياسية، والشخصية الخفية والاستقبال العظيم الذي ناله الكتاب من جهة معينة، لانكشفت لنا النوايا المحركة.

ألف الأصفهاني كتابه الأغاني، فأهداه لسيف الدولة بن حمدان وهو شيعي، فأجازه عليه بألف دينار، وبلغ الصاحب ابن عباد فقال: لقد قصر سيف الدولة، وأنه يستأهل أضعافها، وقد ضمن الأصفهاني في كتابه روايات وقصصاً لا يعرف مصدرها، وقد يكون اقتبسها من كتب لم تصل إلينا، أو سمعها من رواة وقصاصين في مجالسهم الخاصة، وكان بعض الكتب التي اعتمد عليها من كتب الشيعة، وساعدته في التهجم على كثير من الشخصيات الإسلامية المحترمة طبيعتُه الخاصة، وقد رمي أبو الفرج بأنه كان مستهتراً في سيرته شأن الندماء وكان قذراً وسخاً كفوراً يهجو المحسنين إليه.

يقول كرد علي: أوصلته بيئته الأصلية إلى القول بالتشيع لأهل البيت وهو من أسرة منافسة لهم، ساقته الندامة إلى ارتكاب

www.abulhasanalinadwi.org

أمور كان يعف عنها لو لم يصل إلى تلك المجالس والملاهي، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه(١).

كان الصاحب ابن عباد يحمل معه حمل أربعين بعيراً من الكتب، فلما ألف" الأغاني" كان يحمل معه هذا الكتاب ولما ألف كتاب"العقد الفريد" طلب نسخة من الكتاب لكنه لما قرأ الكتاب أعاده قائلا : هذه بضاعتنا ردت إلينا.

وقد اختار الأصفهاني في كتابه طبقة خاصة من المجتمع، وهي طبقة المغنين، ورجال الفن، ومن كان له اتصال بهذه الطبقة، أما الطبقات الأخرى فهي في الدرجة الثانية، جمع الأصفهاني فيه ما أمكنه من الأغاني العربية، ونسب كل ما ذكره منها إلى قائل شعره، وصانع لحنه، وطريقته من إيقاعه، واصبعه التي ينسب إليها من طريقته، واشتراك إن كان بين المغنين فيه على شرح ذلك، وتلخيص وتفسير للمشكل من غريبه وعلل أعرابه وأعاريض شعره، واعتمد في هذا الباب على ما وجد لشاعره أو مغنيه أو السبب الذي من أجله قيل الشعر وصنع اللحن خبراً يستفاد ويحسن بذكره ذكر الصوت معه، وذكر فيه من جد وهزل، وآثار وأخبار وسير وأشعار متصلة بأيام العرب وأخبارها، وقصص الملوك في الجاهلية، والخلفاء في الإسلام، ويذكر كل ما وصل إليه، وإن كان في الروايات تناقض فهو يحمل الراوي المسئولية ويتبرأ عن تبعة الكذب، وقد أقر بذلك في عدة مواضع.

يكاد التناقض يكون سمة الكتاب، وليس من الغريب للقارئ إذا وجد الأصفهاني يصف رجلاً بأنه سكير عربيد وفي موضع آخر ينقل رواية تقول بأنه رجل صالح متنسك، وكثيراً ما يفاجئ القارئ

---

(١) كنوز الأجداد ص: ١٦١.

www.abulhasanalinadwi.org

هذا التناقض.

وقد يكون ذلك اقتضاء الأمانة في الرواية ونقلها، ولكن هل كان الأصفهاني يقبل كل رواية تصل إليه، وهل كان لا يقدر على ترجيح رواية على أخرى، فقد كان في استطاعته وهو يعرف الرواة، ويعرف طبائع الناس في زمانه، أن يزيل هذا التناقض كما فعل سلفه من الكتاب، ويترك الأصفهاني رواياته متناقضة، ويبدي ترجيحه إذا كان المترجح له يتعارض معه في المذهب والعقيدة.

وقد اعترف الأصفهاني بأنه أدخل في كتابه روايات بعيدة عن الصدق، ولكنه أوردها لأنها كانت على ألسن الناس، فيقول عن دريد نقلاً عن ابن الكلبي:

هذه الأخبار التي ذكرتها عن ابن الكلبي موضوعة كلها، والتوليد بيّن فيها، وفي أشعارها، وما رأيت شيئاً منها في ديوان دريد ابن الصمة على سائر الروايات ثم يقول:

هذا من أكاذيب ابن الكلبي، وإنما ذكرته على ما فيه لئلا يسقط من الكتاب شيء قد رواه الناس وتداولوه(١).

وفي الأغاني روايات عن أبي نواس متناقضة، يقول المؤلف بعد هذه الروايات" إن هذه الحكايات موضوعة".

ومن أراد أن يعرف نماذج التناقض في الروايات، أو محاولة التدسيس في التراجم، فليراجع تراجم حماد الراوية، وابن شهاب الزهري، وأبي نواس، وبشار بن برد، وأبي العتاهية، وكثير من خلفاء بني عباس.

جمع الأصفهاني روايات متعارضة عن قيس المعروف بمجنون

---

(١) الأغاني ج ١٠ ص: ٣٧.

www.abulhasanalinadwi.org

ليلى الذي ملأ الأدب بقصصه وأشعاره.

حدث أيوب بن عباية قال: سألت بني عامر بطناً بطناً عن مجنون بني عامر فما وجدت أحداً يعرفه.

قيل لرجل من بني عامر: أتعرف المجنون، وتروي من شعره شيئاً قال: أوقد فرغنا من شعر العقلاء حتى نروي أشعار المجانين، إنهم لكثير، قلت: ليس هؤلاء أعنى، إنما أعني مجنون بني عامر الشاعر الذي قتله العشق، فقال: هيهات! بنو عامر أغلظ أكباداً من ذاك، إنما يكون هذا في هذه اليمانية الضعاف قلوبها، السخيفة عقولها، الصلعة رؤوسها، فأما نزار فلا.

قال الأصمعي: رجلان ما عُرفا، في الدنيا قط، إلا باسم مجنون، مجنون بني عامر، وابن القرية، وإنما وضعهما الرواة، قال ابن الكلبي: حدثت أن حديث المجنون وشعره وضعه فتى من بني أمية كان يهوي ابنة عم له، وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها فوضع حديث المجنون، وقال الأشعار التي يرويها الناس للمجنون ونسبها إليه.

قال الجاحظ: ما ترك الناس شعراً مجهول القائل قيل في ليلى إلا نسبوه إلى المجنون، ولا شعراً هذه سبيله قيل في لبنى إلا نسبوه إلى قيس بن ذريح.

يورد الأصفهاني هذه الروايات التي تنكر وجود شخص باسم مجنون، ثم يورد روايات تؤيد وجوده ويترك الموضوع، ولا حاجة هنا إلى إيراد روايات إثبات المجنون فهي معروفة وكثيرة في كتب الأدب(١).

عداؤه لحماد الراوية

كان حماد الراوية متصلاً بالبيت الأموي، فكان بنو أمية

---

(١) الأغاني ج٢/ ص: ٤-١٠

www.abulhasanalinadwi.org

يكرمونه، فيتعرض لذلك لهجمات الأصفهاني فجمع عنه روايات كثيرة تقدح فيه، وروايات تظهر معارضته، قال المدائني: إنه حماد بن سابور وكان من أعلم الناس بأيام العرب، وأخبارها وأشعارها، وأنسابها، ولغاتها، وكانت ملوك بني أمية تقدمه وتؤثره، وتستزيره، فيفد عليهم وينادمهم ويسألونه عن أيام العرب، وعلومها يجزلون صلته.

قال الأصمعي: "كان حماد أعلم الناس إذا نصح".

قال الوليد بن يزيد لحماد: كم مقدار ما تحفظ من الشعر؟ قال كثيراً، ولكني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى القطعات من الجاهلية دون شعر الإسلام، وامتحنه الوليد، فأنشده حتى ضجر.

قال أبو عمرو الشيباني: ما سألت أبا عمرو بن العلاء قط عن حماد إلا قدّمه على نفسه، وبعد هذه الروايات يذكر الأصفهاني روايات تقدح فيه من الناحية الخلقية ونحله للأشعار، وأنه كان لصاً، ومستهتراً ويقول:

قال أبو عبيدة: قال خلف: كنت آخذ من حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب، وأعطيه المنحول، فيقبل ذلك مني ويدخله في أشعار العرب، وكان فيه حمق.

قال الطرماح: أنشدت حماد الراوية في مسجد الكوفة ـ وكان أذكى الناس وأحفظهم ـ قولي

"بان الخليط بسحرة فتبددوا"

وهي ستون بيتاً، فسكت ساعة، ولا أدرى ما يريد، ثم أقبل فقال: أهذه لك، قلت نعم، قال ليس الأمر كما تقول، ثم ردّها عليّ كلها وزيادة عشرين بيتاً زادها فيها في وقته، وقال: أنا قلت ذلك قبل

www.abulhasanalinadwi.org

عشرين سنة(١).

النزعة الشيعية

يقول الأصفهاني: كان الوليد بن يزيد من فتيان بني أمية وظرفائهم وشعرائهم، وأجوادهم وأشدائهم، وكان فاسقاً خليعاً متهماً في دينه، مرمياً بالزندقة، فشاع ذلك من أمره وظهر حتى أنكره الناس فقتل، وله أشعار كثيرة تدل على خبثه وكفره.

ثم يقول بعد ذلك: ومن الناس من ينفي ذلك عنه وينكره، ويقول: إنه نحل وألصق به، والأغلب الأشهر غير ذلك(٢).

وذكر الأصفهاني عن خلفاء بني أمية، وبني عباس ما يكره نقله، ويستبشع سماعه.

هذه بعض أمثلة من التحزب إلى المذهب الشيعي الذي سلكه الأصفهاني، إرضاء لسادته الذين نادمهم، وقضى حياته كلها في كنفهم، وقد كان عنصراً للتكسب غالباً إلى حد أنه كان يؤلف ويكتب ما يرضى الأمويين، ويبعثه إلى الحكام الأندلسيين سراً وينال عليه مكافآت جمة.

كانت حياة الأصفهاني مظهراً من المتناقضات، فقد كان حافظاً، راوية، عالماً بالأنساب؛ لكنه مع ذلك كان مستهتراً يخافه الناس ويتحاشونه لبذاءة لسانه، وقلة حيائه، وتهتكه للأعراض، ودناءة الخلق، وكانت طبيعته تميل إلى الهجاء.

قال أبو الحسن هلال بن المحسن الصابي في كتابه الذي ألفه في أخبار الوزير المهلبي وزير معز الدولة بن بوية: كان أبو الفرج

---

(١) الأغاني ج/٦ ص: ٧٩-١٠٤

(٢) الأغاني ج/٧، ص: ٦-٩٧.

www.abulhasanalinadwi.org

الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني من ندماء الوزير الخصوصيين، وكان وسخاً قذراً لم يغسل له ثوباً منذ فصله إلى أن قطعه وكان المهلبي شديد التقشف، عظيم التنظف، وكان يحتمل له ذلك لموضعه من العلم.

قال الصابي: إن الأصفهاني كان أقوى في الهجاء، ولم ينج الوزير المهلبي رغم احتماله لكل ما يصدر منه وإكرامه له، من هجو الأصفهاني(١).

وقال ابن الجوزي: إنه كان متشيعاً ومثله لا يوثق به، فإنه يصرح في كتبه بما يوجب الفسق ويهوي شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمل كتاب الأغاني رأى فيه كل قبيح ومنكر (٢).

وكل من يراجع كتاب الأصفهاني يصادف نزعة قوية إلى تصوير القبح وخاصة في حياة الخلفاء والمنتسبين إليهم، وقد صور المدينة بل الحجاز كلها في العصر الأول في صورة مجتمع يشيع فيه الفساد، وتكثر فيه النوادي ومجالس الغناء.

لقد كان من مأساة التاريخ الإسلامي أن الاهتمام بالعلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه قد شغل المؤلفين عن التاريخ، وركز على هذا الموضوع المهم رجال لم يراعوا في نقل الروايات التي وصلت إليهم تلك المعايير التي راعاها المؤلفون في الحديث، وإنما كان همّهم جمع الروايات، وقد اعترف بذلك بعضُ المؤلفين كالأصفهاني في كتابه المعروف الأغاني، واندس في هذا الصنف من المؤرخين رجال لم يكونوا متورعين في نقل الروايات، وأدخلوا في كتبهم الشائعات أو الروايات المختلقة، بل الافتراءات عن بعض الشخصيات الإسلامية الكبرى،

---

(١) إرشاد الأريب

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم

www.abulhasanalinadwi.org

ولذلك يوجد تناقض وتعارض في الروايات التاريخية، وقد أشار إليه العلامة ابن خلدون في كتابه المعروف عن التاريخ.

ثم جاء دور المستشرقين الذين ركزوا اهتمامهم على التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية، وأبرزوا قضايا تثير الشكوك وعدم الثقة في بعض الشخصيات الإسلامية، وأخذ أفكارهم تلاميذُهم ونقلوا هذه القضايا وأبرزوها وفخّموها، ولا يزال هذا العمل لعرض التاريخ الإسلامي من زاوية فكر خاص جارياً، وقد تأثر به الكتاب الإسلاميون أيضاً لنشأتهم في عهد غلبة المستشرقين على العلم وخاصة الموضوعات الإسلامية، ومثاله سلسلة الفتنة الكبرى لطه حسين، ومن أهم مراجع هؤلاء الكتاب الذين أبرزوا مشاجرات بين بعض أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، وهو كاتب محترف مهتم بالتكسب، وقد صور مجتمع الحجاز تصويرا لا يتصور حتى في هذا العصر، كذلك ذكر روايات تجرح بعض كبار الشخصيات الإسلامية في العصر الأول. ، فمثلاً يقول الأصفهاني في بعض أخباره: " إن فتيات مكة كن يخرجن للتنزه مع الرجال، وليس في هذا غرابة ما دام المجتمع كان يبيح اللقاء بين الرجال والنساء، وكل ما في المسألة من غرابة أننا نأبى أن نقيس الماضي على الحاضر"[١].

واستغل المستشرقون هذه المواد وتلاميذهم في العصر الحديث كطه حسين وتلاميذه[٢]، وقد أشار الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي - رحمه الله تعالى - إلى الميزة الأدبية للكتاب، وتصوير الكاتب المجتمع تصويراً يركز على الفساد الخلقي لميل طبيعة الكاتب إلى الفساد

---

[١] الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية / ٢٤٥. دار الثقافة بيروت. الطبعة الثانية ١٩٦٧م.

(٣) راجع كتاب "مجتمع الحجاز في العصر الأموي بين الآثار الأدبية والمصادر التاريخية" للدكتور عبد الله بن سالم الخلف.

www.abulhasanalinadwi.org

الخلقي فقال:

" وكنت إذا قرأت روايات "الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني" (م ٣٥٦هـ) وأنا في أيام الطلب، وريعان الشباب، أؤخذ بسحر أدبها، ولغتها العربية الفصحى، وتعبيرها الجميل، وتصويرها البارع لخواطر النفس، وأشكال الحياة، وكنت أغار على هذه العربية الفصحى التي نزل بها القرآن، وتكلم بها الرسول وأصحابه، أن تسخر للأغراض التافهة - إذا لم أقل الخسيسة - التي ألف لها هذا الكتاب، وأن تضيع في الألحان والأغاني، ورنات المثالث والمثاني، وتصور جوانب الضعف ومواضع السقط، ومكامن الريب في المجتمع الإسلامي الذي عاش في القرون المشهود لها بالخير، وكنت أتمنى أن تستخدم هذه الملكة البيانية، وهذه الثروة اللغوية الفذة، وهذا الأسلوب القصصي الخفيف الجميل، في مقاصد شريفة، وأغراض نبيلة، وفي تصوير جانب مشرق من تاريخ جميل مشرق"[1].

ويقول أحمد أمين: ".... كما صُوِّرَتْ حياةُ اللهو والمجون في كتاب الأغاني ودواوين الشعراء، صُوِّرت حياة الإيمان في تراجم العلماء، أمثال طبقات ابن سعد، وطبقات المحدثين، فإذا قرأت الأغاني ظننت أن الحياة كلها لهو ومجون وإباحة، وإذا قرأت طبقات المحدثين والمتصوفة خلت أن الحياة كلها دين وورع وتقوى، وتنصف إن أنت اعتقدت أن الحياة كانت ذات صُنوف وألوان، وأن المدنية العباسية كانت ككل المدنيات، مسجد وحانة، وقارئ وزامر، ومتهجد يرتقب الفجر، ومصطبح في الحدائق، وساهر في تهجد، وساهر في كرب، وتخمة من غنى، ومسكنة من إملاق، وشك في دين، وإيمان في يقين، كل هذا كان

[1] إذا هبت ريح الإيمان للشيخ الندوي، مقدمة الكتاب، ص: ٣٤.

www.abulhasanalinadwi.org

في العصر العباسي، وكل هذا كان كثيراً. هذا النوع من المؤمنين سميناهم كسفيان وداود، لم يدخلوا في معترك الجهاد مع الشاكين، والمتزندقين، بل كانوا يُعنون بإيمانهم، ولا يأبهون لإلحاد غيرهم، إنما المؤمنون الذين تصدوا للرد على الملحدين هم معتزلة ذلك العصر أمثال واصل بن عطاء، وأبي الهُذيل العلاف، وبشر بن المعتمر، وإبراهيم النظام، فهؤلاء أخذوا يستعرضون ما تقوله الزنادقة، ويناقشونهم ويردون عليهم، ويُلزمونهم الحجة، وقد حكت لنا الكتب كثيراً من هذا الجدل"[١].

ويقول د/الطاهر أحمد مكي: "قد تأثر أبو الفرج الأصفهاني بأخلاقه الشخصية وبمنهجه في التأليف، فاهتم بسرد الجوانب الإنسانية الضعيفة في حياة الشعراء، وركز على جانب الخلاعة والمجون في تصرفاتهم، وأهمل الجاد الرزين المعتدل منها، مما يوهم القارئ - وقد أوهم البعض فعلاً - بأن بغداد لم تكن على أيامه غير مدينة نافقة بالمجان والخلعاء والقيان والسكارى، ولقد كان في بغداد هذا اللون من الحياة حقاً، وربما على نحو أكثر وأبلغ مما قص أبو الفرج، لكن الحق أيضاً أن هذا الجانب لم يكن هو كل ما هنالك، ولا حتى الجانب الأوفر منه، وإنما كانت تقوم إلى جانبه، وعلى نحو أكثر إشراقاً، حياة علمية جادة، ودعوات صوفية زاهدة، وكانت بغداد أكبر مركز للمتصوفين، وعاش فيها على أيام أبي الفرج ثلاثة من كبارهم: أبو بكر الشبلي، وأبو محمد عبد الله بن محمد المرتعش (٣٢٨هـ - ٩٤٠م) والخلدي (ت عام ٣٤٨هـ - ٩٥٩م) ويروى عن الجنيد (ت ٩٦٧م) أن وِرْدَه كان في كل

---

[١] ضحى الإسلام ١/١٦٠.

www.abulhasanalinadwi.org

يوم وليلة ثلثمائة ركعة، وثلاثين ألف تسبيحة، وأقام عشرين سنة لا يأكل إلاّ من الأسبوع إلى الأسبوع"[١].

ويقول الأستاذ أمين المدني في كتابه "التاريخ العربي ومصادره":

" قد نال حماد الراوية من الكذب أكثر مما ناله من الصدق، فنحن نرى في الأغاني صوراً مختلفة لحماد الراوية، شيخ الكوفة تارة نراه سكيراً معربداً، وأخرى نراه يلازم المساجد حتى في أصعب أيامه، ومرة يسرق الشعر ويمدح به، وأخرى ينظم الشعر وينسبه إلى الحطيئة، وحيناً يظهر نقادة خبيراً يعتذر له الفرزدق عن تركه شعراً سرقه قائلاً هل أتركه وقد نسبه الناس لي لأنك وحدك الذي تعرفه، وحيناً يظهر ساذجاً مغفلاً يأخذ منه خلف الأحمر الجيد ويعطيه الغث الموضوع فيقبله ويدخله في أشعار العرب.

وإني لا أدري أعبث الوراقون بأغاني أبي الفرج، أم أن الفرج يدون كل ما يسمع دون أن يفكر ولو قليلاً في حقيقة ما يدون(٢).

وقال الخطيب: حدثني أبو عبد الله الحسين بن محمد طباطبا العلوي: سمعت أبا محمد الحسن بن الحسين التونجي يقول: كان أبوالفرج الأصفهاني أكذب الناس كان يسترق شيئاً كثيراً من الصحف، ثم تكون رواياته كلها منها.

وقد صدّقه بعض العلماء، وقد خولط في عقله قبل موته فلا يستغرب أن يكون قد عبث بتأليفه أو عبث به الوراقون بعده.

ومما لا شك فيه أن الكتاب يحمل مادة ممتعة لسائر طبقات الناس، كما قال الصاحب بن عباد: " كان مشحوناً بالمحاسن المنتخبة،

---

(١) دراسة في مصادر الأدب للدكتور الطاهر أحمد مكي: ص: ٢٦٦، الطبعة السابعة، ١٩٩٣م.
(٢) أمين المدني، التاريخ العربي ومصادره.

www.abulhasanalinadwi.org

والفقر الغريبة، فهو للزاهد فكاهة، وللعالم مادة وزيادة، وللكاتب المتأدب بضاعة وتجارة، وللبطل رُجْلَةٌ وشجاعة، وللمتظرف رياضة وصناعة، وللملك طيبة ولذاذة، ولقد اشتملت خزائني على مأة ألف وسبعة عشر ألف مجلد ما فيها سميري غيره ولا راقني منها سواه"[١].

والكتاب بمثابة نديم، يحفظ لكل مناسبة، ولكل طبيعة كلاماً يتناسب معها وهو لا يهتم بصدقها وكذبها، فهو بضاعة تنفق بها سوقه.

وعلى كل لا يخلو الكتاب من فوائد للمحققين والمنقحين، أما الذين لا يقدرون على التمييز بين ما يقبل وما لا يقبل، ولا يستطيعون غربلة الروايات المتعارضة والحكايات التي روجها القصاصون أو نفقها ندماء ذلك العصر، فيجب عليهم أن يحتاطوا في مطالعة هذا الكتاب.

---

[١] معجم الأدباء، المجلد الرابع، ص: ٥٢.

www.abulhasanalinadwi.org

مصادر الأدب: ٦
العقد الفريد لابن عبد ربه

www.abulhasanalinadwi.org

ابن عبد ربه وكتابه "العقد الفريد"
٢٤٦ـ٣٢٨هـ

هو أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حُدَير بن سالم القرطبي مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية.

ولد في سنة ٢٤٦، ونشأ بقرطبة، وتثقف بثقافة عصره، من فقه، وتفسير، وحديث، ونحو، وعروض، وتاريخ، وأدب.

لازم الأمير عبد الله الذى تولى العرش سنة ٢٧٥هـ، ونادمه زمنا، ومدحه بمدائح، فلما مات الأمير عبد الله سنة ٣٠٠ تولى بعده عبد الرحمن الناصر، وهو أول من لقب بأمير المؤمنين، فاتصل به ولازمه ومدحه.

وتوفي ابن عبد ربه في سنة ٣٢٨ هـ عن عمر ٨٢ سنة.

وقد كان ابن عبد ربه أديباً شاعراً، وقيل عنه أنه إمام أهل أدب المائة الرابعة، وفرسان شعرائها في المغرب كله.

لم يرحل ابن عبد ربه إلى المشرق، وإنما جاء علمه بالمشرق من أشباح علماء الشرق، الذين انتقلوا إلى الأندلس، ومن مطالعته لكتب الشرقيين.

وقد كان للقالي دور كبير في نقل علوم الشرق إلى الأندلس، وكتبه هي المدرسة الأولى لأدباء الأندلس.

www.abulhasanalinadwi.org

أما الذين اعتنوا بالأندلسيين ففيهم الفتح بن خاقان في كتابه "مطمح الأنفس وشرح التأنس في ملح أهل الأندلس"، وابن بسام في كتابه "الذخيرة" والمقري في "نفح الطيب".

العقد ومصادر الأدب السابقة:

مرت عملية الانتخاب والاختيار بمراحل، كانت المرحلة الأولى مجرد الاختيار بدون ترتيب يدخل فيه الاستطراد لا ضابطة له، تأتي مسائل متفرقة، لا صلة بينهما، ومسائل من صنف واحد مفرقة في الكتاب، ومسائل مجتمعة لا يجمعها موضوع، ويتجلى ذلك الاتجاه في كتب الاختيار الأولى كالبيان والتبيين للجاحظ، والكامل للمبرد، إلا أن الجاحظ والمبرد في كتابيهما يعنيان بالنتاج الأدبي العربي، وما يتصل بالعرب غالباً.

وخطا ابن قتيبة خطوة متقدمة، أقرب إلى الكمال، والترتيب في كتابه "عيون الأخبار"، فإنه رتب المختارات، وبوبها، وجمع ما تشابه منها تحت عنوان واحد، مثل كتاب السلطان، وكتاب الحرب، وكتاب الأطعمة، وكتاب النساء.

ومن حيث الموضوع توسع ابن قتيبة، فيأخذ من مصدر عربي، ومصدر فارسي، وهندي، وتوراة، وإنجيل، وزبور.

وتختلف هذه الاختيارات أيضاً باختلاف ذوق صاحب الاختيار، فالجاحظ يُعنى مع الأدب، بالأحداث الاجتماعية في عصره، والمبرد يُعنى مع الأدب بالنحو والصرف، كما يُعنى بالخوارج واليمنيين.

أما القالي فتغلب عليه اللغة أكثر مما يغلب عليه النحو، فهو مؤلف بارع في اللغة، وشارح للمغلقات، ومؤلف في الإبل،

www.abulhasanalinadwi.org

فهو إذا روي مختاراً يقف وراءه ليظهر مهارته اللغوية، وقدرته اللفظية.

العقد الفريد:

وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، أكثر ترتيباً، وتهذيباً، وتبويباً، فقد نظم مختاراته نظماً فنياً، دقيقاً كالعقد المنظوم كما سمى كتابه، فسمى كل باب باسم جوهرة، ففي كتابه ٢٥ جوهرة، اثنتا عشرة في جانب، واثنتا عشرة في جانب آخر، ففي أبوابه لؤلؤة، فريدة، زبرجدة، جمانة، ومرجانة، تم اللؤلؤة الثانية، وهكذا.

والجوهرة الثالثة عشرة الواسطة وهي في الوسط.

واللؤلؤة الأولى في السلطان، والفريدة في الحروب.

واللؤلؤة الثانية في الفكاهات، والفريدة الثانية في الطعام والشراب.

ومصدره أبو عبيدة، والجاحظ، وابن قتيبة، والمبرد، كما اقتبس من أقوال ابن المقفع، ونقل من دواوين العرب.

ومن خصائص كتابه، كما ذكر ابن عبد ربه، حسن الاختيار، والترتيب، وسائر مواد كتابه تتعلق بالشرق، وليس فيه عن المغرب، إلا ما أورد من شعره. وحذف ابن عبد ربه الأسانيد للاختصار.

ويقول هو عن الاختيار: إنه عمد في اختياره من جملة الأخبار، وفنون الآثار إلى أشرفها جوهراً، وأظهرها رونقاً، وألطفها معنى، وأجزلها لفظاً، وأحسنها ديباجة، وأكثرها طلاوة، وحلاوة.

www.abulhasanalinadwi.org

وقبل النصوص يأتي بمقدمة من إنشائه في أهمية الموضوع.

ويميل ابن عبد ربه إلى التاريخ، وله أرجوزة تاريخية، فيُعنى بأحداث التاريخ، ويورد مواد التاريخ أكثر من سابقيه، كالوفود، والأنساب، وأيام العرب، وأخبار العرب، وباب خاص بالخلفاء وتواريخهم، وله آراء نقدية شائعة في كتابه، يستحسن من الكلام ويستهجن، ويبين مواضع الاستحسان، والاستهجان، ويخالف النقاد في آرائهم.

وقد انتقد ابن قتيبة، والمبرد، وكذلك الملحنين والمغنين في اختيار الشعر.

وتختلف آراء الباحثين في مصدر هذا الكتاب، فيرى بعضهم أنه اعتمد على عيون الأخبار، وآخرون يعتقدون أنه اعتمد على الكامل للمبرد.

ويرى أحمد أمين أنه تأثر بكتاب ابن قتيبة "عيون الأخبار" كثيراً، واستغله أعظم استغلال، سواء في ترتيبه وتبويبه، أو في مشتملات أبوابه، لكنه غمط حقه في التصريح بما أخذ منه إلا في القليل النادر.

ويرى ابن عبد ربه ان اختيار الكلام أصعب من تأليفه، وقد قالوا: اختيار الرجل وافد عقله، وقال الشاعر:

قد عرفناك باختيارك إذ كا ن دليلاً على اللبيب اختياره

وقال أفلاطون: عقول الناس مدونة في أطراف عقولهم، وظاهرة في حسن اختيارهم، ويقول في تفصيل الاختيار مستنداً إلى الآية القرآنية ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾.

وقال يحيى بن خالد: الناس يكتبون أحسن ما يسمعون، ويحفظون أحسن ما يكتبون، ويتحدثون بأحسن ما يحفظون.

www.abulhasanalinadwi.org

ويقول في حذف الأسانيد: إن الكلام أحق بجودته من الأسانيد، وذكر قول الحسن البصري، فقال: حدث الحسن البصري بحديث فقيل له: يا أبا سعيد عمَّن؟ قال: وما تصنع بعمن يا ابن أخي، أما أنت فنالتك موعظته، وقامت عليك حجته.

يقول ابن عبد ربه: نظرت في بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متصرفة في فنون الأخبار، ولا جامعة لجمل الآثار، فجعلت هذا الكتاب كافياً جامعاً لأكثر المعاني التي تجري على أفواه العامة والخاصة، وتدور على ألسنة الملوك، والسوقة، وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر، تجانس الأخبار في معانيها، وتوافقها في مذاهبها، وقرنت بها غرائب من شعري، ليعلم الناظر في كتابنا هذا، أن لمغربنا على قاصيته، وبلدنا على انقطاعه حظاً من المنظوم والمنثور.

وسميته كتاب "العقد الفريد" لما فيه من مختلف جواهر الكلام مع دقة السلك وحسن النظام، وجزأته على خمسة وعشرين كتاباً، كل كتاب منها جزآن، فتلك خمسون جزءاً في خمسة وعشرين كتاباً، قد انفرد كل كتاب منها باسم جوهرة من جواهر العقد.فأولها:

١. كتاب اللؤلؤة في السلطان
٢. الفريدة في الحروب ومدار أمرها.
٣. الزبرجدة في الأجواد والأصفاد.
٤. الجمانة في الوفود.
٥. المرجانة في مخاطبة الملوك.
٦. الياقوتة في العلم والأدب.
٧. الجوهرة في الأمثال.

www.abulhasanalinadwi.org

٨. الزمردة في المواعظ والزهد.
٩. الدرة في التعازي والمراثي.
١٠. اليتيمة في النسب وفضائل العرب.
١١. العسجدة في كلام الأعراب.
١٢. المجنبة في الأجوبة.
١٣. الواسطة في الخطب.
١٤. المجنبة الثانية في التوقيعات، والفصول، والصدور، وأخبار الكتبة.
١٥. العسجدة الثانية، في الخلفاء وتواريخهم، وأيامهم.
١٦. اليتيمة الثانية، في أخبار زياد، والحجاج، والطالبيين، والبرامكة
١٧. الدرة الثانية في أيام العرب ووقائعهم.
١٨. الزمردة الثانية في فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه.
١٩. الجوهرة الثانية في أعاريض الشعر وعلل القوافي.
٢٠. الياقوتة الثانية في علم الألحان، واختلاف الناس فيه.
٢١. المرجانة الثانية في النساء وصفاتهن.
٢٢. الجمانة الثانية في المتنبئين، والمغرورين، والبخلاء والطفيليين.
٢٣. الزبرجدة الثانية في بيان طبائع الإنسان، وسائر الحيوان، وتفاصل البلدان.
٢٤. الفريدة الثانية في الطعام والشراب.
٢٥. اللؤلؤة الثانية في النتف والهدايا، والفكاهات، والملح

أمثلة من بعض الكتب:

كتاب اللؤلؤة في السلطان

فرش(مقدمة)

www.abulhasanalinadwi.org

السلطان زمام الأمور، ونظام الحقوق، وقوام الحدود، والقطب الذي عليه مدار الدنيا، وهو حمى الله في بلاده، وظله الممدود في عباده. به يمتنع حريمهم، وينتصر مظلومهم، وينقمع ظالمهم، ويأمن خائفهم.

قالت الحكماء: إمام عادل خير من مطر وابل، وإمام غشوم خير من فتنة تدوم، ولما يزع الله السلطان أكثر مما يزع بالقرآن.

قال النبي صلى الله عليه وسلم عدل ساعة في حكومة خير من عبادة ستين سنة.

وقال عليه السلام: كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته.

وقال الشاعر:

فكلكم راع، ونحن رعيته وكل سيلقى ربه فيحاسبه

ثم يذكر المؤلف ما يجب على السلطان رعايته، وما على الرعية من حقوق وواجبات.

قال عبد الله بن عمر: إذا كان الإمام عادلاً فله الأجر، وعليك الشكر، وإذا كان جائراً فعليه الوزر، وعليك الصبر.

قال كعب بن الأحبار: مثل الإسلام والسلطان، مثل الفسطاط والعمود، والأطناب، والأوتاد، فالفسطاط الإسلام، والعمود السلطان، والأطناب والأوتاد الناس، ولايصلح بعضها إلا ببعض.

قال الأفوه الأودي:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

والبيت لا يبتني إلا له عمد ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

www.abulhasanalinadwi.org

فإن تجمع أوتاد وأعمدة يوماً فقد بلغوا الأمر الذي كادوا

نصيحة السلطان لزوم وطاعة:

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾.

وقال أبو هريرة: لما نزلت هذه الآية أمرنا بطاعة الأئمة، وطاعتهم من طاعة الله وعصيانهم من عصيان الله.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من فارق الجماعة أو خلع يداً من طاعة، مات ميتة جاهلية".

وقال صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قالوا: لمن يا رسول الله! قال: لله ولرسوله، وأولي الأمر منكم".

وبعد الأحاديث التي وردت في طاعة الأمير، يورد المؤلف قطعة من كتاب "كليلة ودمنة" بقوله" في كتاب للهند".

وبعد ذكر وجوب طاعة الأمير، يذكر ما يجب على من يصحب السلطان، فيأتي بأقوال من كتب عبد الله بن المقفع.

كتاب الحروب:

يبدأ ابن عبد ربه هذا الكتاب بقوله:

"مضى قولنا في السلطان وتعظيمه، وما على الرعية من لزوم طاعته، وإدامة نصيحته، وما على السلطان من العدل في رعيته، والرفق بأهل مملكته.

ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الحروب، ومدار أمرها، وقود الجيوش، وتدبيرها، وما على المدبر لها من إعمال الخدعة، وانتهاز الفرصة، والتماس الغرة، وإذكاء العيون، وإنشاء

www.abulhasanalinadwi.org

الطلائع، واجتناب المضايق، والتحفظ من البيات، هذا بعد معرفة أحكامها، وإحكام معرفتها، وطول تجربته لها، و لمقاساة الحروب ومعاناة الجيوش، وعلمه أن لا درع كالصبر، ولا حصن كاليقين، ثم نذكر كرم الإقدام، ومحمود عاقبته ولؤم الفرار، ومذموم مغبته والله المعين.

صفة الحروب:

الحرب رحى تقالها الصبر، وقطبها المكر، ومدارها الاجتهاد، وثقافها الأناة، وزمامها الحذر.

www.abulhasanalinadwi.org

مصادر الأدب: ٧
وفيات الأعيان لابن خلكان

www.abulhasanalinadwi.org

وفيات الأعيان لابن خلكان

كتاب"وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان" من تأليف القاضي أبي العباس شمس الدين أحمد ابن خلكان (٦٠٨- ٦٨١هـ) من أشهر كتب التراجم، وأكثرها استيعاباً، وامتداداً للعهد الذي يتناوله، فإن كتب التراجم الأخرى التي ألفت في عصور مختلفة، وبأقلام مؤلفين آخرين، تناولت طبقة دون طبقة، أو عهداً دون عهد، فهي مثلاً تتناول طبقات الأدباء كمعجم الأدباء، أو طبقات الأطباء، أو طبقات المحدثين، أو طبقات النحويين، أو تتناول أعلام منطقة واحدة كالأندلس، ومصر، وبغداد، والشام، أو عهداً، أو فترة زمنية معينة محدودة، ولكن وفيات الأعيان كتاب يشتمل على تراجم الأعيان من القرن الأول للهجرة، إلى عهد ابن خلكان، وهو القرن السابع للهجرة، وهي فترة زمنية طويلة، كما يشتمل الكتاب على تراجم أعيان الشرق والغرب، وسائر المناطق التي شملتها الدولة الإسلامية من الخلفاء، والوزراء، والكتاب، والشعراء، والفلاسفة، والقادة، والولاة، ومن نال شهرة في أي مجال من مجالات الحياة، ولذلك يعد هذا الكتاب مصدراً رئيسياً من مصادر التاريخ، وإن لم يكن كتاباً في التاريخ بمعنى الكلمة، فهو كتاب يشتمل على تراجم رجال صنعوا التاريخ، ووصف أحداث كان لها وقع على التاريخ العام، ولذلك ظل الكتاب في سائر العصور مرجعاً كبيراً من مراجع الكتابات التاريخية.

www.abulhasanalinadwi.org

ومن سمات الكتاب أنه رغم تأليفه في عهد التصنع والتزخرف ـ لأنه ألف في القرن السابع، وهو عهد الكاتب الأخير القاضي الفاضل المعروف بإفراطه في الزخرفة اللفظية، والكلف بالسجع ـ يمثل الأسلوب المتميز بسهولة التعبير وحسن البيان، فليس أسلوبه بأسلوب خال من جمال التعبير، وليس بأسلوب مزخرف يغلبه التكلف والتزخرف اللفظي، ويتجلى في التراجم الذوق الأدبي للمؤلف، سواء كان يرسم الشخصية، أو يقدم وصفاً لحادث، أو منظر، أو يحكي قصة، أو يتناول موضوعاً علمياً، أو فكرة فلسفية، أما تراجم الشعراء والأدباء في الكتاب فهي حافلة بنوادر ونكت تثير الذوق الأدبي، وتثري الثروة الأدبية، وتحي الملكة الفنية.

يوضح المؤلف منهجه في مقدمته:

"لم أذكر في هذا المختصر أحداً من الصحابة رضوان الله عليهم، ولا من التابعين رضي الله عنهم، إلا جماعة يسيرة تدعو حاجة كثير من الناس إلى معرفة أحوالهم، وكذلك الخلفاء: لم أذكر واحداً منهم اكتفاء بالمصنفات الكثيرة في هذا الباب، لكن ذكرت جماعة من الأفاضل الذين شاهدتهم، ونقلت عنهم، أو كانوا في زمني، ولم أرهم، ليطلع على حالهم من يأتي بعدي.

ولم أقصر هذا المختصر على طائفة مخصوصة مثل العلماء، أو الملوك، أو الأمراء، أو الوزراء، أو الشعراء، بل كل من له شهرة بين الناس، ويقع السؤال عنه ذكرته وأثبتُّ في أحواله مما وقفت عليه، مع الإيجاز كيلا يطول الكتاب.

وذكرت من محاسن كل شخص ما يليق به من مكرمة، أو نادرة، أو شعر، أو رسالة ليتفكه به متأمله، ولا يراه مقصوراً على أسلوب واحد فيملّه".

www.abulhasanalinadwi.org

مؤلف الكتاب القاضي ابن خلكان

كان القاضي شمس الدين أحمد ابن خلكان البرمكي الأربلي الشافعي فاضلاً بارعاً، متفننا، جيد القريحة، بصيراً بالعربية، علامة في الأدب، والشعر، وأيام الناس، كثير الإطلاع، حلو المذاكرة، وافر الحرمة.

ولد في أربل بالعراق سنة ٦٠٨هـ، ثم قرأ على مشايخ عصره، وقد تفقه بالموصل على كمال الدين بن يونس، وأخذ بحلب على القاضي بهاء الدين ابن شداد، وغيرهما.

دخل مصر عام ٦٣٤هـ وسكنها مدة، وتأهل بها، وناب بها في القضاء عن القاضي بدر الدين السنجاري، ثم قدم الشام، وتولى القضاء في ٦٥٩هـ، ثم عزل عن القضاء ٦٦٩هـ، وتولى التدريس في المدرسة الفخرية بالقاهرة سبع سنوات، وأعيد إلى القضاء، ثم عزل عنه في ٦٨٠هـ، وتولى التدريس في المدرسة الأمينية، وتوفى في عام ٦٨١هـ.

بدأ تأليف كتابه الشهير بوفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان في القاهرة في ٦٥٤هـ، وتوقف عن التأليف مدة من الزمن خلال توليه القضاء في دمشق، وانتهى من تأليفه في ٦٧٢هـ، وتوجد نسخة خطية بيده في المتحف البريطاني.

مزايا الكتاب

يتميز كتاب وفيات الأعيان من بين كتب التراجم الأخرى في مجالات كثيرة بالإضافة إلى ما ذكره المؤلف في مقدمته، كتنوع الأساليب، وخفة الروح، واشتماله على النكت والنوادر، وكثرة الاستشهاد بالشعر، والكلام البليغ المؤثر، والقصص والحكايات التي تزيل السآمة والملل، فيقرأ القارئ عند ما يقرأ تراجم الأعيان، ويتفكه

www.abulhasanalinadwi.org

باللطائف والطرائف التي تتخلل الترجمة.

من مزايا الكتاب البارزة تعيين اختصاص صاحب الترجمة إذا كان صاحب الترجمة جامعاً لأشتات العلوم والكمالات، وتحقيق الأماكن، والأسماء، والكنى.

ومن مزايا الكتاب تصحيح الروايات، وإزالة التناقض فيها، والجرح والتعديل، وذلك أمر طبيعي لأن المؤلف هو قاضي القضاة، وفقيه، وقضى مدة طويلة من حياته في القضاء في مصر، والشام، وقد التزم هذا النقد حتى في الروايات الأدبية منظوماً ومنثوراً، وأصدر حكمه فيها، وقال: إن هذا الشعر ينسب إلى فلان، ولكنه لفلان، وإن هذا الخيال مأخوذ من شعر فلان، فيتحول الكتاب بهذا التنوع في المواضيع إلى كتاب نقد، وتاريخ، ولغة، ونحو، وبلاغة، وحكايات تسلي النفس، وأقوال حكيمة تهذب النفس، وقضايا علمية تعلم العقل.

١- تعيين الاختصاص

الترجمة الأولى في الكتاب هي ترجمة إبراهيم النخعي الفقيه الكوفي ترجمة رقم ٧ أبو إسحاق إبراهيم بن منصور بن المسلم الخطيب.

يقول: أبو إسحاق إبراهيم بن منصور المسلم الفقيه الشافعي المصري المعروف بالعراقي الخطيب بجامع مصر.

ترجمة رقم ١١ إبراهيم الصولي

يقول: إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول تكين الصولي.

الشاعر المشهور، كان أحد الشعراء المجيدين، وله ديوان شعر كله نُخَبٌ.

ترجمة رقم ١١٥ بشر المريسي

أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي الفقيه

www.abulhasanalinadwi.org

الحنفي المتكلم .

ترجمة رقم ١٨٨ المازني النحوي

أبو عثمان بكر بن محمد بن عثمان بن حبيب المازني البصري النحوي.

ترجمة رقم ١٠٠ أشهب تلميذ مالك.

أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم القيسي، ثم الجعدي الفقيه المالكي المصري، تفقه على الإمام مالك رضي الله عنه، ثم على المدنيين والمصريين.

ترجمة رقم ٩٥ أبو علي القالي

أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى ابن محمد بن سلمان القالي اللغوي.

هذه بعض الأمثلة لتعيين الاختصاص الذي لا يفارق أي ترجمة، وذلك من سمات هذا الكتاب، وهي السمة التي يتميز بها الكتاب عن غيره من كتب التراجم.

تحقيق الأماكن والأسماء والكنى

أبو إسحاق المروزي(٣)

المروزي - بفتح الميم وسكون الراء وفتح الواو وبعدها زاء معجمة - نسبة إلى مرو الشاهجهان، وهي إحدى كراسي خراسان، وكراسي خراسان أربع مدن: هذه، ونيسابور، وهارة، وبلخ، وهناك مرو الروذ، ومرو هذه بناها الإسكندر ذو القرنين، وهي سرير الملك بخراسان، وزادوا في النسبة إليها زاء كما قالوا في النسبة إلى الري: رازي، واصطخر: اصطخرزي، ولكن إضافة الزاء خاص ببني آدم،

www.abulhasanalinadwi.org

أما الثوب وغيره فيقال مرويّ.

قالي قلا:

جاء في أبي علي القالي:

والقالي - نسبة إلى قالي قلا - بفتح القاف وبعد الألف لام مكسورة، ثم ياء مثناة تحتها، ثم قاف بعدها لام ألف وهي من أعمال ديار بكر.

وذكر البلاذري في كتاب "البلدان وجمع فتوح الإسلام" في فتوح آرمينية ما مثاله: وقد كانت أمور الروم تشعبت في بعض الأزمنة، فكانوا كملوك الطوائف، فملك آرمينيا قس رجل منهم، ثم مات فملكتها بعده امرأته وكانت تُسمى قالي فبنت مدينة قالي قلا وسمتها قالي قاله، ومعنى ذلك إحسان قالي، وصورت على باب من أبوابها، فعربت العرب قالي قاله، قالوا: قالي قلا.

الطالقان

وفي ترجمة الصاحب بن عباد الطالقاني (٩٦) يقول في شرح كلمة طالقان: والطالقاني - بفتح الطاء المهملة وبعد الألف لام مفتوحة، ثم قاف وبعد الألف الثانية نون - هذه النسبة إلى الطالقان، وهي اسم لمدينتين: إحداهما بخراسان والأخرى من أعمال قزوين، والصاحب المذكور أصله من طالقان قزوين، لا طالقان خراسان.

السرقسطة

وفي ترجمة أبي الطاهر السرقسطي الأندلسي (٩٧) وهو إمام في علوم الآداب وفن القراءات، يقول:

السرقسطي - بفتح السين المهملة والراء وضم القاف وسكون الثانية وبعدها طاء مهملة - هذه النسبة إلى مدينة في شرق الأندلس يقال

www.abulhasanalinadwi.org

لها سرقسطة من أحسن البلاد، خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم، وأخذها الفرنج من المسلمين في ٥١٢هـ.

سرّ من رأى

فيها ست لغات حكاها الجوهري في كتاب"الصحاح" في فصل "رأي" سُرَّ من رأي - بضم السين المهملة وفتحها - سَرَّ من رأى، وساء من رأي، وسامرا، وسُرَّ من راء، وسُرَّ مرَّ، وهي مدينة بالعراق، بناها المعتصم في سنة ٢٢٠هـ، وفيها السرداب الذي تنتظر الإمامية خروج الإمام منه.

٣- تعيين الكنى والألقاب

يقول في ترجمة إبراهيم النحوي الملقب بنفطويه (رقم: ١٢) ونفطويه - بكسر النون وفتحها والكسر أفصح والفاء ساكنة - قال أبومنصور الثعالبي في كتاب "لطائف المعارف" إنه لقب نفطويه لدمامته وأدمته، تشبيهاً له بالنفط، مثل سيبويه، لأنه كان يجري على طريقته ويدرس كتابه.

القيروان

في ترجمة إبراهيم بن علي الحُصري القيرواني، صاحب زهر الآداب ونثر الألباب، (رقم: ١٦) يقول:

الحصري - بضم الحاء المهملة، وسكون الصاد المهملة، ويعدها راء مهملة، نسبة إلى عمل الحصر وبيعها.

والقيرواني - بفتح القاف وسكون الياء والمثناة من تحتها وفتح الراء المهملة وبعد الواء ألف ونون - نسبة إلى مدينة بإفريقية، بناها عقبة ابن عامر الصحابي رضي الله عنه(١).

---

(١) يرى محقق الوفيات الدكتور إحسان عباس أن الصواب عقبة بن نافع الفهري.

www.abulhasanalinadwi.org

والقيروان في اللغة: القافلة، وهو فارسي معرب، يقال: إن قافلة نزلت بذلك المكان، ثم بنيت المدينة في موضعها، فسميت باسمها، وهو اسم للجيش أيضاً، وقال ابن القطاع اللغوي: القيروان بفتح الراء الجيش، ويضمها القافلة.

٤- رسم الشخصية

كان ابن خلكان رغم اشتغاله بالقضاء وعكوفه على الفقه أديباً جيد القريحة، بصيراً بالعربية، ولذلك يختار لعرض الأحداث ورسم الشخصيات ووصف المناظر أسلوباً أدبياً، ويختار من الألفاظ ما يناسب صاحب الترجمة، ويبرز مواضع القبح والجمال في الكلام المنقول.

ومن أمثلة ما كتبه عن المنصور العبيدي صاحب إفريقية رقم (٩٨).

يقول: كان بليغاً فصيحاً، يرتجل الخطب، وذكر أبو جعفر أحمد بن محمد المروروذي قال: خرجت مع المنصور يوم هزم أبا يزيد فسايرته وبيده رمحان، فسقط أحدهما مراراً فمسحته وناولته إياه، وتفاءلت له، فأنشدته:

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

فقال: ألا قلت: ما هو خير من هذا وأصدق ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧- ١٩] فقلت: يا مولانا أنت ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: ما عندك من العلم.

ومن قبيل ذلك ما ذكره التيمي في سيرة الحجاج بن يوسف الثقفي قال: أمر عبد الملك بن مروان أن يعمل باب بيت المقدس ويكتب عليه اسمه، وسأله الحجاج أن يعمل له باباً، فأذن له، فاتفق أن صاعقة وقعت فاحترق منها باب عبد الملك، وبقي باب الحجاج،

www.abulhasanalinadwi.org

فعظم ذلك على عبد الملك، فكتب الحجاج إليه: "بلغني أن ناراً نزلت من السماء فأحرقت باب أمير المؤمنين، ولم تحرق باب الحجاج، وما مثلنا في ذلك إلا كمثل ابني آدم﴿ إذ قربا قرباناً، فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر﴾ فسُرِّي عنه لما وقف عليه.

ويصف ابن خلكان المنصور فيقول:

كان المنصور شجاعاً رابط الجأش، بليغاً يرتجل الخطبة، وخرج في شهر رمضان سنة ٢٤١هـ، من المنصورة إلى مدينة جلولاء ليتنزه بها، ومعه خطيبته قضيب، كان مغرماً بها، فأمطر الله سبحانه وتعالى عليهم برداً كثيراً وسلّط عليهم ريحاً عظيمة، فخرج منها إلى المنصورة فاشتد عليه البرد، فأوهن جسمه، ومات أكثر من معه ووصل إلى المنصورة فاعتل بها، فمات يوم الجمعة ٣٤١هـ.

يقول في ترجمة جعفر البرمكي (رقم: ١٣٢):

أبوالفضل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك بن جامس البرمكي وزير هارون الرشيد، وكان من علو القدر، ونفاذ الأمر، وبُعد الهمة، وعظم المحل، وجلالة المنزلة عند هارون الرشيد بحالة انفرد بها، ولم يشارك فيها، وكان سمح الأخلاق، وطلق الوجه، ظاهر البشر، أما جوده وسخاؤه، وعطاؤه، فكان أشهر من أن يذكر، وكان من ذوي الفصاحة، والمشهورين باللسن والبلاغة، ويقال: إنه وقع ليلة بحضرة هارون الرشيد زيادة على ألف توقيع، ولم يخرج في شيء منها عن موجب الفقه.

جاء في "أخبار الوزراء" أن رجلاً اعتذر إليه، فقال له جعفر: أغناك الله بالعذر منا عن الاعتذار إلينا، وأغنانا بالمودة لك عن سوء الظن بك.

وكان جعفر من الكرم وسعة العطايا كما هو مشهور، ويقال:

www.abulhasanalinadwi.org

إنه لما حجّ اجتاز في طريقه بالعقيق، وكانت سنة محدبة، فاعترضته امرأة من بني كلاب وأنشدته:

إني مررت على العقيق وأهله يشكون من مطر الربيع نزورا
ما ضرهم إذ جعفر جار لهم أن لا يكون ربيعهم ممطورا

فأجزل لها العطاء.

قلت: والبيت الثاني مأخوذ من قول الضحاك بن عقيل الخفاجي من جملة أبياته.

ولو جاورتنا العام سمراء لم يبل على جدبنا أن لا يصوب ربيع

لله دَرُّه، فما أحلى هذه الحشوة وهي قوله" على جدبنا" وأهل البيان يسمون هذا النوع حشو اللوزينج.

٥- أسلوبه في وصف الاحتفالات والمناظر

يقول في حفل زواج بوران بنت الحسن بن سهل رقم(١٢٠) "كان المأمون قد تزوجها لمكان أبيها منه، واحتفل أبوها بأمرها، وعمل من الولائم والأفراح ما لم يعهد مثله في عصر من الأعصار، وكان ذلك بفم الصلح، وانتهى أمره إلى أن نثر على الهاشميين والقواد والكتاب والوجوه بنادق مسك، فيها رقاع بأسماء ضياع، وأسماء جوار، وصفات دواب وغير ذلك، فكانت البندقة إذا وقعت في يد الرجل فتحها فيقرأ ما في الرقعة، فإذا علم ما فيها مضى إلى الوكيل المرصد لذلك، فيدفعها إليه ويتسلم ما فيها، سواء كان ضيعة، أو ملكاً، أو فرساً، أو جارية، أو مملوكاً، ثم نثر بعد ذلك على الناس الدنانير والدراهم ونوافح المسك، وبيض العنبر، وأنفق على المأمون وقواده وجميع أصحابه وسائر من كان معه من أجناده وأتباعه، وكانوا خلقاً لا يحصى حتى على الجمالين والمكارية والملاحين وكل من ضمّه عسكره، فلم يكن في العسكر من يشتري شيئاً لنفسه ولا لدوابه.

www.abulhasanalinadwi.org

وفُرش للمأمون حصير منسوج بالذهب، فلما وقف عليه نثرت على قدميه لآلي كثيرة، فلما رأى تساقط اللآلي المختلفة على الحصير المنسوج بالذهب، قال قاتل الله أبا نواس، كأنه شاهد هذه الحال حين قال في صفة الخمر والحباب الذي يعلوها عند المزاج.

كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء درّ على أرض من الذهب

(نقد) وقد غلطوا على أبي نواس في هذا البيت (١)

٦- الآراء النقدية

يتجلى الذوق الأدبي لابن خلكان عند ذكر الشعر عندما يترجم للشعراء والأدباء، فينقلب كتابه كتاب تاريخ أدب ونقد، ومثال ذلك ما كتب في ترجمة جرير الشاعر رقم(١٣٠).

أجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الإسلام مثل ثلاثة: جرير، والفرزدق، والأخطل، قال محمد بن سلام: سمعت يونس يقول: ما شهدت مشهداً قط وذكر فيه جرير والفرزدق، فاجتمع أهل المجلس على أحدهما، وقال أيضاً: الفرزدق أشعر، وجرير أشعر عامة، ويقال: إن بيوت الشعر أربعة: فخر، ومديح، وهجاء، ونسيب، وفي الأربعة فاق جرير غيره، فالفخر قوله:

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

والمديح قوله:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

والهجاء قوله:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

والنسيب قوله:

---

(١) استعمل أفعل التفضيل بدون أحد الأمور الثلاثة وهي: من أو اللام أو الإضافة.

www.abulhasanalinadwi.org

إن العيون التي في طولها حور قتلتنا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركانا

وحكى أبو عبيدة معمر بن المثنى أنه التقى جرير والفرزدق بمنى وهما حاجان، فقال الفرزدق لجرير:

فإنك لاق بالمشاعر من منى فخارا فخبرني بمن أنت فاخر

فقال له جرير: لبيك اللهم لبيك، قال أبو عبيدة: فكان أصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جرير ويعجبون به، وفي قصة أخرى لجرير والفرزدق إشارة إلى أن التوارد يكون لفظياً ومعنوياً، كما ذكر المبرد في كتابه الكامل في قصة معن بن زائدة الشيباني.

كتب ابن خلكان نقلاً عن أبي عبيدة:

خرج جرير والفرزدق مرتدفين على ناقة إلى هشام بن عبد الملك الأموي وهو يومئذ بالرصافة، فنزل جرير لقضاء حاجته، فجلعت الناقة تتلفت، فضربها الفرزدق وقال!

إلام تلفتين وأنت تحتي وخير الناس كلهم أمامي
متى تردي الرصافة تستريحي من التهجير والدبر الدوامي

ثم قال الآن يجئي جرير فأنشده هذين البيتين فيقول:

تلفت أنها تحت ابن قين إلى الكيرين والفأس الكهام
متى ترد الرصافة تخز فيها كخزيك في المواسم كل عام

قال: فجاء جرير والفرزدق يضحك، فقال: ما يضحكك يا أبا فراس؟ فأنشده البيتين الأولين، فأنشده الجرير البيتين الأخيرين، فقال الفرزدق: والله لقد قلت هذا، فقال جرير: أما علمت أن شيطاننا واحد.

يورد ابن خلكان قول أبي عبيدة في الشاعرين: كان جرير مع

www.abulhasanalinadwi.org

حسن تشبيبه عفيفاً، وكان الفرزدق فاسقاً، وكان يقول: ما أحوجه إلى صلابة شعري وأحوجني إلى رقة شعره.

وفي ترجمة أبي الفضل جعفر بن حنزابة وزير بني الإخشيد بمصر (١٣٣) مدة إمارة كافور يورد ابن خلكان نكتة أدبية يقول:

ذكر الخطيب أبو زكريا التبريزي في شرحه ديوان المتنبي أن المتنبي لما قصد مصر ومدح كافوراً مدح الوزير أبا الفضل المذكور بقصيدته الرائية التي أولها:

باد هواك صبرت أو لم تصبرا

وجعلها موسومة باسمه، فتكون إحدى القوافي "جعفرا" وكان قد نظم قوله في هذه القصيدة:

صغت السوار لأي كف بشرت ... بابن العميد وأي عبد كبّرا

"بشرت بابن الفرات" فلما لم يرضه صرفها عنه، ولم ينشده إياها فلما توجه إلى عضد الدولة قصد أرّجان وبها أبو الفضل ابن العميد وزير ركن الدولة بن بويه والد عضد الدولة فحوّل القصيدة إليه، ومدحه بها وبغيرها، وهي من غرر القصائد.

وذكر الخطيب أيضاً في الشرح أن قول المتنبي في القصيدة المقصورة التي يذكر فيها مسيره إلى الكوفة ويصف منزلاً منزلاً ويهجو كافوراً.

وماذا بمصر من المضحكات ... ولكنه ضحك كالبكا
بها نبطي من أهل السواد ... يدرس أنساب أهل الفلا
وأسود مشفره نصفه ... يقال له أنت بدر الدجى
وشعر مدحت به الكر كد ... ن بين القريض وبين الرقى
فما كان ذلك مدحاً له ... ولكنه كان هجو الورى

إن المراد بالنبطي أبو الفضل المذكور، والأسود كافور،

www.abulhasanalinadwi.org

وبالجملة فهذا القدر ما غضّ منه، فما زالت الأشراف تهجى وتمدح.

وفي ترجمة العباس بن الأحنف رقم (٣١٩) قيل إن الرشيد عمل في الليل بيتاً ورام أن يشفعه بآخر فامتنع القول عليه فقال: عليّ بالعباس، ولما جاء العباس إليه قال له: وجهت إليك بسبب بيت قلته ورمت أن أشفعه بمثله، فامتنع القول عليّ، فقال: دعني حتى ترجع إليّ نفسي، فإني تركت عيالي على حال من القلق عظيمة، ونالني من الخوف ما يتجاوز الحد، والوصف، فانتظر هنيهة ثم أنشد

جنـــان قـد رأيناهـا ولم نـر مثلـها بـشراً

فقال العباس بن الأحنف:

يزيـدك وجهها حسناً إذا مـا زدتـه نظـــرا

فقال: زدني، فقال:

إذا ما الليل سال عليك بـالإظلام واعتكـــرا

ودجّ فلـم تـر قمـــراً فأبرزهـــا تـر قمـــرا

فقال له الرشيد: قد ذعرناك، وأفزعنا عيالك، وأقل الواجب أن نعطيك ديتك، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

وفي ترجمة جعفر بن حنزابة(أبو الفضل جعفر بن الفضل رقم (١٣٣) يقول: إن زائراً أصيب بهيبته لما رأه، فلحن في قوله: أدام الله أيامك، بخفض أيامك، المنصوبة، فقال أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله النجيرمي مرتجلاً:

لا غرو أن لحن الداء لسيدنا وغص من دهشة بالعـ والبهر

فمثل هيبته حالت جلالتهـــا بين البليغ وبين النطق بالحصر

وإن يكن خفض الأيام عن دهش في موضع النصب أو من قلة البصر

فقد تفاءلت في هذا لسيدنا والفأل نأثره عن سيد البشر

بأن أيامه خفض بلا نصب وان دولته صفو بلا كـــدر

www.abulhasanalinadwi.org

نوادر

ترجمة أبي دُلامة زند بن الجون

دخل أبو دلامة على المهدي فقال: يا أمير المؤمنين، ماتت أم دلامة، وبقيت ليس أحد يعاطيني، فقال: إنا لله، أعطوه ألف درهم، يشتري بها أمة تعاطيه، وكانت قد دخلت أم دلامة على الخيزران فقالت: يا سيدتي مات أبودلامة وبقيت ضائعة، فأمرت لها بألف درهم، فدخل المهدي على الخيزران، وهو حزين، فقالت: ما بال أمير المؤمنين، قال: ماتت أم دلامة، فقالت: مات أبو دلامة، فقال: قاتل الله أبا دلامة وأم دُلامة قد خدعانا والله، وكان أبو عطاء السندي مولى بني أسد قد هجاه بقوله:

ألا أبلغ هديت أبا دلامة ... فليس من الكرام ولا كرامه

إذا لبس العمامة كان قردا ... وخنزيراً إذا وضع العمامة

وفي ترجمة أبي دُلامة نكت ونوادر أخرى، وخاصة قصة مبارزته في قتال.

ذكر ابن خلكان في ترجمة المنازي الكاتب (رقم ٥٩) قصة طويلة فيها فائدتان.

أبو نصر أحمد بن يوسف المنازي الكاتب كان من أعيان الفضلاء، وأماثل الشعراء، وزر لأبي نصر أحمد بن مروان الكردي صاحب ميافارقين، وديار بكر، وكان فاضلاً شاعراً كافياً، ويرسل إلى القسطنطينية مراراً، وجمع كتباً كثيرة.

اجتمع بأبي العلاء المعري بمعرة النعمان، فشكا أبو العلاء إليه

www.abulhasanalinadwi.org

حاله، وأنه منقطع عن الناس وهم يؤذونه، فقال: ما لهم ولك، وقد تركت لهم الدنيا والآخرة؟ فقال أبو العلاء: والآخرة أيضاً؟ وجعل يكررها ويتألم لذلك، وأطرق فلم يكلمه إلى أن قام.

وقد اجتاز في بعض أسفاره بوادي بُزاعا فأعجبه حسنه، وما هو عليه، فعمل فيه هذه الأبيات:

وقانا لفحة الرمضاء واد ... وقاه مضاعف النبت العميم
نزلنا دوحه علينا ... حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالا ... ألذ من المدامة للنديم
يراعي الشمس أنى قابلته ... فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى ... فتلمس جانب العقد النظيم

ويقول ابن خلكان: هذه الأبيات بديعة في بابها، وذكر أبوالمعالي الحظيري المتوفى (٥٦٨هـ) في كتاب" زينة الدهر" (وهو ذيل على دمية القصر لأبي المعالي سعد بن على المعروف بالوراق الحظيري)

ويثير رأي ابن خلكان قضية، فإن الأندلسيين ينسبون هذه الأبيات إلى الشاعرة حمدونه بنت زياد، كما ذكر صاحب نفح الطيب، فيقول: إن مؤرخي بلادنا نسبوها لحمدة من قبل أن يوجد المنازي، الذي ينسب أهل الشرق إليه، ويقال إنه لما أنشد مصراعاً سبقه أبو العلاء إلى الثاني.

نكت لغوية:

يتعرض ابن خلكان لنكت لغوية مفيدة كذكره في ترجمة رؤبة ابن العجَّاج التميمي (٢٣٨) فقال:

حكى يونس بن حبيب النحوي قال: كنت عند أبي عمرو بن العلاء فجاءه شبيل بن عزرة الضبعي، فقام إليه أبو عمرو وألقى إليه

www.abulhasanalinadwi.org

لبد بغلته، فجلس عليه، ثم أقبل إليه يحدثه، فقال شبيل: يا أبا عمر، سألت رؤبتكم عن اشتقاق اسمه فما عرفه، قال يونس: فلم أملك نفسي عند ذكره، فقلت له: لعلك تظن أن معد بن عدنان أفصح منه ومن أبيه؟ أتعرف أنت ما الروبة والروبة، والرؤبة، الرؤبة، والرؤبة وأنا غلام رؤبة، فلم يحر جواباً، وقام مغضباً، فأقبل عليّ أبو عمرو وقال: هذا رجل شريف يقصد مجالسنا ويقضي حقوقنا، وقد أسأت فيما فعلت مما واجهته به، فقلت: لم أملك نفسي عند ذكره رؤبة، فقال أبو عمرو، أوقد سُلطت على تقويم الناس؟

ثم فسر يونس ما قاله، فقال: الروبة خميرة اللبن.

الروبة: قطعة من اللبن.

الروبة: الحاجة، يقال: فلان لا يقوم بروبة أهله.

الروبة: ماء الفحل.

والرؤبة بالهمزة القطعة التي يشعب بها الخشيب والجميع بسكون الواو وضم الرأي التي قبلها أما الرؤبة فإنها بالهاء.

النكت النقدية

في تراجم الشعراء والأدباء نكت تهم النقد الأدبي، وأحياناً يبدي ابن خلكان رأيه فيفضل شعراً، ويستقبح الآخر، ويذكر أحياناً رأي الآخرين، فيقول في ترجمة سالم الخاسر(٢٥٣).

وكان سالم من تلامذة بشار، وصار يقول أرق من شعر بشار، وكان بشار قد قال:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته ... وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فقال سالم وهو المعروف بسلم الخاسر لأنه باع المصحف بالطنبور:

www.abulhasanalinadwi.org

من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور

فغضب بشار وقال: ذهب والله بيتي، والله لا أكلت اليوم شيئاً ولا صمت، وقال: إنه أخذ المعاني التي تعبت فيها فكساها ألفاظاً أخف من ألفاظي، لا أرضى عنه، فما زالوا يسألونه حتى رضي عنه.

النكت النحوية

ترجمة أبي عمرو عامر بن شراحيل الشعبي(٣١٧).

قال الأصمعي: كان شراحيل ضئيلاً نحيلاً، فقيل له يوماً: مالنا نراك ضئيلاً، فقال: زوحمت في الرحم، وكان قد ولد هو وأخ آخر في بطن، وأقام في البطن سنتين، ويقال: إن الحجاج بن يوسف الثقفي قال له يوماً: كم عطاءك في السنة؟ فقال: ألفين، فقال: ويحك! كم عطاؤك، فقال: ألفان، قال: كيف لحنت أولاً؟قال: لحن الأمير فلحنت، فلما أعرب أعربت، وما أمكن أن يلحن الأمير وأعرب أنا، فاستحسن ذلك منه وأجازه.

تراجم الصالحين:

وفي ذكر الصالحين والمتورعين والربانيين، يختلف أسلوب ابن خلكان حسب طبيعة الحال، ومثال ذلك ما يقول عن أبي الفيض ثوبان بن إبراهيم المعروف بذي النون المصري، الصالح المشهور(١٢٩) يقول:

كان أوحد وقته علماً وورعاً، وحالاً وأدباً، وهو معدود في جملة من روى الموطأ عن الإمام مالك رضي الله عنه، وذكر ابن يونس عنه في تاريخه أنه كان حكيماً فصيحاً.

سئل عن سبب توبته، فقال: خرجت من مصر إلى بعض

www.abulhasanalinadwi.org

القرى، فنمت في الطريق في بعض الصحارى، ففتحت عيني، فإذا بقنبرة عمياء سقطت من وكرها على الأرض، فانشقت الأرض، فخرجت منها سكرجتان، إحداهما ذهب والأخرى فضة، وفي إحداهما سمسم وفي الأخرى ماء، فجعلت تأكل من هذا وتشرب من هذا، فقلت حسبي، قد تبت، ولزمت الباب إلى أن قبلني.

ويقول: كان رجلاً نحيفاً تعلوه حمرة، وليس بأبيض اللحية وشيخه في الطريقة شقران العابد، ومن كلامه: إذا صحت المناجاة بالقلوب، استراحت الجوارح.

وكان قد سعى به إلى المتوكل فاستحضره من مصر، فلما دخل عليه وعظه، فبكى المتوكل وردّه مكرماً، وكان المتوكل إذا ذكر أهل الورع بين يديه يبكي، ويقول: إذا ذكر أهل الورع فحيّ هلا بذي النون.

ونقل عن إسحاق بن إبراهيم السرخسي، قال سمعت ذاالنون وفي يديه الغل وفي رجليه القيد، وهو يساق إلى المطبق، والناس يبكون حوله وهو يقول: هذا من مواهب الله تعالى ومن عطاياه، وكل فعاله عذب حسن طيب، ثم أنشد:

لك من قلبي المكان المصون ... كل لوم على فيك يهون
لك عزم بأن أكون قتيلاً ... فيك والصبر عنك ما لا يكون

وفي ترجمة الفضيل بن عياض(٥٣١).

أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود الزاهد المشهور أحد رجال الطريقة، كان في أول أمره شاطراً يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينا هو يرتقي الجدران إليها، سمع تالياً يتلو﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦].فقال: يا رب قد آن، فرجع، وآواه الليل إلى خربة

www.abulhasanalinadwi.org

فإذا فيها رفقة، فقال بعضهم: نرتحل، وقال بعضهم: حتى نصبح، فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا، فتاب الفضيل وآمنهم، وكان من كبار السادات.

حدث سفيان بن عيينة، قال دعانا هارون الرشيد، فدخلنا عليه ودخل الفضيل آخرنا مقنعاً رأسه بردائه، فقال لي: يا سفيان أيهم أمير المؤمنين، فقلت: هذا، وأومأت إلى الرشيد، فقال له: يا حسن الوجه، أنت الذي أمر هذه الأمة في يدك وعنقك؟ لقد تقلدت أمراً عظيماً، فبكى الرشيد، ثم أتى كل رجل منا ببدرة، فكل قبلها إلا الفضيل فقال الرشيد: يا أبا علي إن لم تستحل أخذها فأعطيها ذا دين، أو أشبع بها جائعاً، أو أكس عارياً، فاستعفاه منها، فلما خرجنا قلت: يا أبا علي، أخطأت، ألا أحذتها وصيرتها في أبواب البر، فأخذ بلحيتي ثم قال: يا أبا محمد، أنت فقيه البلد والمنظور إليه، وتغلط مثل هذا الغلط، لو طابت لأولئك فطابت لي.

يحكى أن الرشيد قال له يوماً: ما أزهدك، فقال الفضيل: أنت أزهد مني، قال: وكيف ذلك، قال لأني أزهد في الدنيا، وأنت تزهد في الآخرة، والدنيا فانية والآخرة باقية

قال الفضيل: إذا أحب الله عبداً أكثر غمه، وإذا أبغض عبداً وسع عليه دنياه.

هذه أمثلة للمواد الأدبية التي يشتمل عليها كتاب وفيات الأعيان للقاضي الأديب ابن خلكان، ولا يسع الكتاب لأمثلة أكثر من هذا القدر وقد التقطت هذه الأمثلة من مواضع مختلفة، واكتفيت بمثال أو مثالين.

ولا شك أن أي مؤلف في التراجم لا يستطيع أن يستوعب سائر

www.abulhasanalinadwi.org

الشخصيات المعروفة في التاريخ التي كان لها دور في التاريخ، أو فضل في العلم والأدب، مهما بلغت ضخامة مؤلفه، ولم يستطع المترجمون لأعلام بلد واحد، أو عهد واحد، أن يذكروا سائر أهل الفضل، ففات ابن خلكان ذكر عدد كبير من أصحاب الفضل، أو لم تشمل ترجمته سائر جوانب حياة من ذكرهم، فقد اعتمد ما ألف في ذلك الموضوع من مؤلفات، وما وصلت إليه من روايات، وقد صرح بنفسه:

"ذكرت جماعة من الأفاضل الذين شاهدتهم، ونقلت عنهم، أو كانوا في زمني، ولم أرهم، وقال: إنه ذكر في مختصره جماعة يسيرة تدعو حاجة كثير من الناس إلى معرفة أحوالهم".

كتاب" فوات الوفيات".

ونظراً لعدم وجود تراجم عدد من الأعلام في هذا الكتاب أضاف فخر الدين محمد بن شاكر الكتبي الحلبي المتوفى في عام ٧٦٤هـ كتاب "فوات الوفيات" الذي يشتمل على ثماني مائة وست وأربعين ترجمة، وعدد تراجم كتاب وفيات الأعيان ٨٢٦ في ستة مجلدات، وطبع هذا الكتاب كذيل لوفيات الأعيان، ومن هذه التراجم تراجم لم تجد مكانها في أي كتاب من الكتب المؤلفة في تراجم الأعلام.

ويرى ناشر هذا الكتاب محمد محي الدين عبد الحميد أن مصدر هذه التراجم التي جمعها ابن شاكر الكتبي مأخوذ من كتاب الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفوي وهو أديب حاذق ماهر معاصر لابن شاكر.

يقول مؤلف الكتاب: إن علم التاريخ مرآة الزمان لمن تدبر، ومشكاة أنوار يطلع بها على تجارب الأمم من أمعن النظر وتفكر، وكنت ممن أكثر لكتبه المطالعة، واستحلى من فوائد المراجعة، فلما وقفت على كتاب وفيات الأعيان لقاضي القضاة ابن خلكان قدس الله

www.abulhasanalinadwi.org

روحه، وجدته من أحسنها وضعاً لما اشتمل عليه من الفوائد الغزيرة والمحاسن الكثيرة؛ غير أنه لم يذكر أحداً من الخلفاء، ورأيته قد أخل بتراجم فضلاء زمانه، وجماعة ممن تقدم على أوانه، ولم أعلم أ ذلك ذهول عنهم، أو لم يقع له ترجمة أحد منهم، فأحببت أن أجمع كتاباً يتضمن ذكر من لم يذكره من أئمة الخلفاء والسادة الفضلاء من وفاته إلى الآن، فاستخرت الله تعالى فانشرح لذلك صدري، وتوكلت عليه، وفوضت أمري إليه، وسميته بـ "فوات الوفيات".

والترجمة الأولى في الفوات هي ترجمة إبراهيم بن أدهم العجلي إلا منهجه يختلف عن منهج ابن خلكان، في الخصائص التي التزمها هو في كتابه من تعيين الاختصاص، وتحقيق الأماكن، والنكت العلمية والأدبية، ويشتمل على نقل روايات، وطبع الفوات في المجلدين.

وجملة القول إن هذا الكتاب كتاب علم، وتاريخ، ونقد، وأدب وتسلية، وهو بحق كما قال ابن خلكان بنفسه عن هذا الكتاب أنه وسيلة للتعلم والتفكه معاً، ولا يستغني باحث في الأدب، أو التاريخ عن هذه الموسوعة، ويعتبر الكتاب بهذا المزايا الكثيرة، خير نموذج لتأليف التراجم، ولذلك جعل المؤرخ الهندي الشهير العلامة عبد الحي الحسني عندما وضع خطة للتأليف في تراجم أعيان الهند، هذا المنهج الذي وضعه ابن خلكان نصب عينيه، ونرى بوضوح عكس هذا المنهج في "الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام" (يعني نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) في الخطة، والأسلوب، في الوصف، والمدح، وسرد الأحداث، وتجنب سآمة القارئ.

www.abulhasanalinadwi.org

فهرس المحتويات

كلمة الناشر	٣
كلمة بين يدي الطبعة الثانية	٥
مقدمة الطبعة الثانية	٨
الخصائص البارزة للكتاب :	١٧
المقدمة	٢٢
كلمة بين يدي الكتاب	٢٩
القسم الأول	٣٢
البيان والتبيين	٣٢
أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ	٣٣
مؤلفاته	٣٤
البيان والتبيين	٣٦
اسم الكتاب : البيان والتبيين/البيان والتبين :	٣٦
تاريخ التأليف :	٣٧
لمن ألفه :	٣٧
بدء الكتاب :	٣٨
أجود الشعر	٤٠
باب البيان	٤٣
"الفرق بين المعنى و اللفظ :	٤٤
وسائل البيان	٤٤
سبب تأخير هذا الباب	٤٤
الإشارة	٤٤
الخط :	٤٥
العقد :	٤٥
النصبة	٤٦

www.abulhasanalinadwi.org

الحال :	٤٦
أحسن الكلام	٤٦
البلاغة	٤٧
التكرار في الكلام :	٤٩
قول الأصمعي في البيان :	٥٠
موقف الجاحظ من الكلام : الإيجاز أفضل :	٥٠
يقول الجاحظ : خير الكلام ما طابق الوضع والحال :	٥٠
متى يحسن الإطالة	٥١
هل كل كلام مفهوم بليغ؟	٥٣
باب ذكر اللسان	٥٣
باب الصمت	٥٤
باب من القول في القوافي الظاهرة واللفظ الموجز	٥٦
باب الأسجاع في الكلام	٥٧
الجزء الثاني من البيان والتبيين	٥٩
الخطبة المؤثرة	٦٠
باب مزدوج الكلام	٦٤
باب من اللغز في الجواب	٦٤
باب في صفة الرائد للغيث وفي نعته للأرض	٦٥
باب أن يقول كل إنسان على قدر خلقه وطبعه	٦٥
أبيات تصلح للرواية والمذاكرة	٦٦
باب اللحانين البلغاء	٦٦
باب النوكي	٦٦
باب العي	٦٦
باب خطأ العلماء	٦٦
باب الكلام المحذوف	٦٦
خطبة الحجاج	٦٧

www.abulhasanalinadwi.org

باب من الشعر فيه تشبيه الشيء بالشيء	٦٧
الرد على الشعوبية	٦٩
كتاب الزهد	٦٩
مصادر الأدب — ٢	٧٠
أدب الكاتب	٧١
ترجمة ابن قتيبة (٢١٣هـ ـ ٢٧٠هـ)	٧١
مذهب ابن قتيبة	٧٣
أسلوب ابن قتيبة	٧٥
مؤلفاته	٧٥
سبب تأليف الكتاب	٧٦
الكتاب الأول : كتاب المعرفة	٧٧
باب معرفة ما يضعه الناس في غير موضعه :	٧٨
ما جاء مثنى في كلام العرب	٧٩
المستعمل من المزدوج	٨٠
ما يستعمل في الدعاء	٨٠
أصول أسماء الناس	٨٠
باب معرفة ما في السماء والنجوم والأزمان والرياح	٨١
الكتاب الثاني في تقويم اليد	٨١
الكتاب الثالث في تقويم اللسان.	٨١
الألفاظ التي تتقارب في الحروف، والمعنى ويلتبس على الناس استعمالها.	٨٢
باب الحروف التي تتقارب ألفاظها وتختلف معانيها	٨٢
اختلاف المعنى باختلاف الأبنية.	٨٢
الكتاب الرابع : كتاب الأبنية	٨٣
ما يضم ويكسر	٨٣
وما يضم ويفتح	٨٣
وما يكسر ويفتح	٨٣

www.abulhasanalinadwi.org

وما يقال بالهمزة والواو.	٨٣
وما جاء فيه ثلاث لغات	٨٤
وما فيه خمس لغات.	٨٤
وما فيه ست لغات	٨٤
باب معاني أبنية الأسماء	٨٤
باب شواذ البناء	٨٥
المصادر المختلفة عن المصدر الواحد :	٨٥
باب ما جمعه وواحده سواء	٨٥
مصادر الأدب : ٣	٨٦
الكامل للمبرد	٨٧
ترجمة المبرد	٨٧
مؤلفاته :	٨٨
الكامل	٨٩
سبب تأليف الكتاب	٩٠
باب وصف الرسول صلى الله عليه وسلم للأنصار	٩١
حديث : ألا أخبركم بأحبكم إليّ.....	٩١
كلمة أبي بكر في مرضه لعبد الرحمن بن عوف	٩٤
عهد أبي بكر بالخلافة إلى عمر	٩٨
خصائص كلام العرب	٩٩
بعض نماذج من بيان القواعد النحوية واللغوية أثناء شرح النصوص	١٠٢
المثال الثاني	١٠٢
المثال الثالث	١٠٣
أحسن الشعر	١٠٤
البلاغة	١٠٦
الجزء الثاني	١٠٧

www.abulhasanalinadwi.org

مصادر الأدب —٤	١٠٨
كتاب الأمالي لأبي علي القالي	١٠٩
ترجمة القالي	١٠٩
مؤلفاته	١١٠
كتب الأمالي والنوادر	١١٠
ومن الأمالي المعروفة في اللغة وقواعدها	١١١
شرح الأمالي	١١١
كتاب الأمالي	١١٢
رأي العلامة عبد العزيز الميمني	١١٣
اللآلي شرح الأمالي	١١٥
سمط اللآلي	١١٥
الأدباء الذين أخذ عنهم القالي وذكرهم في كتابه :	١١٦
ابن دريد	١١٦
ابن الأنباري :	١١٦
منهج القالي في عرض النصوص وشرحها	١١٧
فروق المعاني	١٢٠
بعض العناوين البارزة في الكتاب	١٢٢
يشتمل ذيل الأمالي والنوادر على البحوث الآتية :	١٢٣
مصادر الأمالي	١٢٣
كتاب التنبيه	١٢٧
نماذج من تنبيهاته	١٢٧
القسم الثاني	١٢٩
مصادر الأدب : ٥	١٣٠
كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني	١٣٠
أبو الفرج الأصفهاني ٢٨٤- ٣٥٣هـ	١٣١
أساتذة الأصفهاني :	١٣١

www.abulhasanalinadwi.org

أخلاقه :	١٣١
الأغاني	١٣٢
مختصرات الأغاني	١٣٢
كتب الأغاني	١٣٣
منهج الأصفهاني :	١٣٣
منهج المؤلف	١٣٥
عدم الترتيب في النصوص وأصحاب النصوص	١٣٥
الباعث على التأليف	١٣٥
يبدأ الأصفهاني كتابه بقصة معبد	١٣٦
شعر أبي قطيفة من لحن معبد	١٣٦
نقد الكتاب	١٤٠
المحترفون بالأدب والتاريخ في القرن الرابع.	١٤٠
عداؤه لحماد الراوية	١٤٤
النزعة الشيعية	١٤٦
مصادر الأدب : ٦	١٥٣
العقد الفريد لابن عبد ربه	١٥٤
العقد ومصادر الأدب السابقة :	١٥٥
العقد الفريد :	١٥٦
أمثلة من بعض الكتب :	١٥٩
كتاب اللؤلؤة في السلطان	١٥٩
نصيحة السلطان لزوم وطاعة :	١٦١
كتاب الحروب :	١٦١
صفة الحروب :	١٦٢
مصادر الأدب : ٧	١٦٣
وفيات الأعيان لابن خلكان	١٦٤
مؤلف الكتاب القاضي ابن خلكان	١٦٦

www.abulhasanalinadwi.org

مزايا الكتاب	١٦٦
١- تعيين الاختصاص	١٦٧
ترجمة رقم ١١ إبراهيم الصولي	١٦٧
ترجمة رقم ١١٥ بشر المريسي	١٦٧
ترجمة رقم ١٨٨ المازني النحوي	١٦٨
ترجمة رقم ١٠٠ أشهب تلميذ مالك.	١٦٨
ترجمة رقم ٩٥ أبو علي القالي	١٦٨
تحقيق الأماكن والأسماء والكنى	١٦٨
أبو إسحاق المروزي(٣)	١٦٨
قالي قلا :	١٦٩
الطالقان	١٦٩
السرقسطة	١٦٩
سرّ من رأى	١٧٠
3- تعيين الكنى والألقاب	١٧٠
القيروان	١٧٠
٤- رسم الشخصية	١٧١
٥- أسلوبه في وصف الاحتفالات والمناظر	١٧٣
٦- الآراء النقدية	١٧٤
نوادر	١٧٨
ترجمة أبي دُلامة زند بن الجون	١٧٨
نكت لغوية :	١٧٩
النكت النقدية	١٨٠
النكت النحوية	١٨١
تراجم الصالحين :	١٨١
كتاب" فوات الوفيات".	١٨٤

www.abulhasanalinadwi.org